

الجزء الأول
بوناپارت والإسلام

obeikandi.com

بوناپارت والإسلام^(١)

رسائل بريدية وتقرير عن الإدارة الداخلية

١٧٩٨ - ١٧٩٩

١- إعجاب بوناپارت بالإسلام .

٢- تأثيرات وطنية وتمديدية .

٣- ظواهر دينية .

٤- آمال إسلامية .

٥- نتائج نظرية .

٦- نتيجة عملية : صنعة واضحة لإعادة إحياء الإسلام بالعلوم .

كلمات لاتنسى ، للشرق الأوسط جميعه ، قيلت فى القاهرة عام ١٧٩٨ .
أملها ، ووقع عليها ، القائد العام بوناپارت . لم يعد الأمر هو فرنسا وقوة مسلمة ،
بل إن فرنسا والإسلام نفسه ، على وشك أن يصبحا حلفاء عبر العالم . نهضة
إسلامية ، ونسيان محن الماضى ، وفهم وتخلل مشترك وعميق للحضارات الشرقية
والأوروبية - بدت أعظم الطموحات وكأنها قابلة للتحقيق .

بلاغات سياسية ، قد يقول الإنسان ، ربما تكون سياسية ؛ ولكنها سياسية
بوناپارت .

جاء إلى مصر لحماية المصالح الاقتصادية^(٢) ، وقام بوناپارت فوراً بتوسيع
القضية وفرض الاهتمام المنظور الاجتماعى . الأديان مثل اللقاحات ؛ (الكلمة من

اختياره)، ثم قال: «أنا لا أرى في الدين سر التجسيد(*)، ولكنى أرى سر النظام الاجتماعي»(**). واستطرد يقول: «إنه يعزو إلى السماء مفهوم المساواة التي تمنع الفقير من ذبح الغنى»(٣).

من الصعب أن يرى الإنسان أن هذا دين، أو في الحقيقة الدين الوحيد الذي يمكن تبريره: هذا كان - على أى حال - أول بند في العقيدة النابوليونية.

بين البيانات التي صدرت بعد ذلك، لا يستطيع الإنسان أن يخفق في ملاحظة أن نفس هذه الروح الدينية، تفصح عن نفسها، بأوضح ما يكون.

بوناپارت كان ربانيا. فعل أفضل من اتباع النمط السائد (كثيرا مانسى أن أجدادنا هم الذين شرعوا عبادة الموجود الأعلى)، برغبته وإرادته أصبح ربانيا ملتزما.

مع ذلك، هو كان يعتقد - شكراً له - أن شئون هذه الأرض يجب أن تحكم بأفضل أسلوب ممكن.

كقائد حربى، صمم على فرض الاحترام لجميع العقائد الدينية، وكان يشعر أنه هو نفسه مسلح جيدا بالإسلام، بنفس الدرجة التي نزع بها روما سلاحه، وهو يلاحق سياسة فرنسا الخارجية.

أى تردد، وأى شكوك، يمكن أن تؤثر على مثل هذا القائد وهو يأمر جنوده - أبناء الثورة مثله - أن يكونوا متسامحين تجاه الإسلام، مثل تسامحهم تجاه الكاثوليكية، وأن يكونوا مبجلين لشيوخ الإسلام كتبجيلهم الأحرار الأساقفة؟

إذا ما ذهب إلى أبعد من هذا، رويدا رويدا، ألم يكن ذلك؛ لأن القيم الإنسانية والتأثيرات الاجتماعية للإسلام كانت تأتى إليه بوضوح أكثر فأكثر؟(٤).

عند المسلمين، كل شىء بما فى ذلك القانون، ينبع من القرآن. لذلك، لا يستطيع أحد أن يصل إلى الجماهير بدون مساندة من رجال الدين. تحدث

(*) تجسيد الإله فى جسد عيسى عند المسيحيين.

(**) يقصد فى الإسلام.

بونابارت طويلا مع الشيوخ . اختارهم ليس فقط لنفوذهم وشخصياتهم ، بل أيضا
لذكائهم ؛ مسترشدا بقراءة القرآن ، سرعانا ما أصبح كطالب .

لم يعط نابوليون اهتماما كبيرا للحضارة الكاثوليكية (سوف نسمعه فيما يلي
وهو يتهمهم بقسوة على فكرة الثالوث المقدس) . لم يهتم كثيرا بالتبرعات المتقطعة ،
والعاصية أحيانا ، مع العدالة والقوة التي تمثل ذلك صعوداً وهبوطاً معها (*) . ألم
تكن العدالة هي أساس القرآن؟ وعلى ضوء هذه الرؤية ، ألم تكن مبادئه (القرآن)
بالغة الصدق؟

التاريخ يلزم وجدان نابوليون . بالتباين مع ضعف الإسلام الموجود ، رأى هو
فيه من جميع الجوانب الدليل على قوة حديثة ورائعة . هل ذهبت إلى الأبد هذه
القوة وهذه الروعة ؟ ، سأل نفسه . فى لحظة خاطفة ، جمع نابوليون جميع
احتياطات الإسلام الديناميكية ، افترض أنها شاسعة ، وبدأ يستغلها لصالح فرنسا
ولصالح الحضارة نفسها ، مصيران توأمان يرى أنهما لا ينفصلان .
هذا فى رأينا هو ما توضحه نصوص هذا الكتاب دون جدال .

* * *

(*) يقصد أن التبرع يخضع عند المسيحيين لإرادتهم ، وليس فيه إلزام كالزكاة عند المسلمين . فالزكاة تمثل
فرض العدل - المترجم .

القسم الأول معلومات من المراسلات

١- إعجاب نابوليون بالإسلام

حتى قبل أن يترك فرنسا، قرر بوناپارت أن يدرس القرآن^(٥). في توجه مهم نحو السياسة والأخلاق، أمرهم أن يحضروا إلى مكتبة معسكره نسخا من العهد القديم والعهد الجديد، ومن القرآن، والثيدا والأساطير، و«روح القوانين» للفيلسوف الفرنسي مونتيسكيو^(٦).

يشير هذا إلى عزمه على متابعة مسيرة الأديان عبر الدول، وتبنيه هو نفسه لرؤية سياسية أخلاقية. فورا بعد وصوله إلى مصر، قام القائد العام بتحديد دور تمديني لحملته، موحياً باستمرارٍ بشبح الإسكندر.

الوثيقة (١)

رقم ٢٠٧١ - بلاغ إلى القوات الأرضية^(٧).

مقر القائد على متن الباخرة لورينت

٢٢ يونيو، ١٧٩٨

أيها الجنود:

أنتم على وشك القيام بغزو لا يمكن إحصاء قدر آثاره على حضارة وتجارة العالم.

أنتم بالتأكيد سوف توجهون للإنجليز ضربة مؤلمة سوف تصيبهم بتدمير ممت^(٨).

سوف نقوم بتحركات مرهقة ؛ وسوف نخوض عدة معارك ، وسوف ننجح فى جميع أعمالنا ، الأقدار تقف إلى جانبنا .

بكوات الممالك الذين أهانوا تجارنا ، واضطهدوا سكان النيل التعساء ، لن يكون لهم وجود بعد أيام قليلة من وصولنا .

الشعوب التى سوف نعيش معها هم من أتباع الرسول محمد ﷺ ، البند الأول فى دينهم هو شهادة : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

لا تعارضوهم ؛ تعاملوا معهم كما تعاملتم مع اليهود ومع الإيطاليين ، احترموا شيوخهم وأئمتهم ، كما فعلتم مع الأقباط والقساوسة .

امنحوا الجوامع والفرائض التى أوصى بها القرآن نفس التسامح الذى منحتموه للأديرة المسيحية والمعابد اليهودية ، ولدين موسى ودين المسيح .

الفيالق الرومانية حمت جميع الأديان . سوف تجدون هنا أعرافا مختلفة عن أعراف أوروبا ، عليكم أنتم أن تتكيفوا معها .

الشعوب التى سنعيش معها تعامل النساء بطريقة مختلفة عما نفعل ؛ ولكن فى جميع الدول من يغتصب امرأة هو وحش .

النهب يغنى قلة صغيرة ، ولكنه يصمنا جميعا بالعار . إنه يبدد مصادرنا ويجعلنا أعداء للشعوب التى نريد أن نجعلهم أصدقاء لنا .

المدينة الأولى التى سوف نقابلها ، هى المدينة التى بناها الإسكندر . مع كل خطوة سوف نثير ذكريات يريد الفرنسيون أن يحاكوها .

إدارة الحرب (٩)

بونابارت

الوثيقة (٢)

رقم ٢٠٧٢٣ - بلاغ

مقر القيادة، الإسكندرية

٢ يوليو، ١٧٩٨ ميلادية - ١٨ محرم، ١٢١٣ هجرية

بونابارت، عضو «المجمع القومي»، القائد العام^(١٠).

منذ زمن طويل، كان البكوات الذين يحكمون مصر يهينون شعب فرنسا
ويسئون إلى تجارها، قرب وقت حسابهم.

لوقت طويل، هذه المجموعة من العبيد، الذين اشتروهم من جورجيا والقوقاز،
اضطهدوا أكثر مناطق العالم جمالا، ولكن الله الذى - يعتمد عليه كل شىء - قضى
أن حكمهم يجب أن يزول.

يا أهل مصر، قالوا لكم: إننى جئت لكى أدمر دينكم، فلا تصدقوهم، قولوا
لهم: إننى جئت لكى أعيد إليكم حقوقكم، وأن أعاقب من اضطهدوكم، وإننى
أحترم الله ورسوله والقرآن، أكثر مما يفعل المماليك.

قولوا لهم: إن جميع الناس متساوون أمام الله، الحكمة، والمهارة، والفضيلة،
هى الاختلاف الوحيد بينهم.

الآن، ما هى الحكمة والمهارات والفضائل التى تميز المماليك، حتى تخولهم
وحدهم الحقوق إلى كل ما يجعل الحياة حلوة ولطيفة؟

أين توجد الضيعة الجميلة؟ إنها بحوزة المماليك. أين هى الأمة الجميلة،
والفرس الجيد والمنزل الفاخر؟ كل هذا هو أيضا لدى المماليك.

إذا كانت مصر ملكا لهم، دعهم يظهرون الحجة التى أنعم الله بها عليهم، ولكن
الله رؤوف رحيم بالعباد.

جميع المصريين سوف يُطلبون لشغل المراكز الإدارية، أكثرهم حكمة، وعلماء، وفضيلة، سوف يحكمون، وسوف يصبح الناس جميعاً راضين.

كان يوجد في الماضي مدن كبيرة، وقنوات عظيمة وتجارة طيبة بينكم، ما الذي دمر كل هذا، إن لم يكن جشع وظلم وطغيان المماليك؟

أيها القضاة، والشيوخ، والأئمة، قولوا للناس: إننا أصدقاء المسلمين الصادقين^(١١).

ألم نكن نحن الذين دمرنا البابا^(١٢) لأنه كان دائماً يحث الناس على محاربة المسلمين؟ ألم نكن نحن الذين دمرنا فرسان مالطة؛ لأن هؤلاء المجانين اعتقدوا أن إرادة الله هي التي أوجبت قيامهم بالحرب ضد المسلمين؟ ألم نكن نحن الذين كنا عبر القرون أصدقاء لله، وأعداء لأعدائه؟ ألم يكن المماليك من ناحية أخرى في ثورة دائمة ضد إرادة الله، وهم مازالوا ينكرونه؟ إنهم يتبعون نزواتهم.

سعداء - بالثلاثة - من يقفون معنا. سوف يزدهرون في المنزلة وفي الثروة. سعداء أيضاً من يقفون على الحياد. سوف يكون لديهم الوقت لكي يعرفونا، وسوف يقفون معنا.

لكن الويل ثم الويل، لأولئك الذين يحملون السلاح مع المماليك، ويقاتلون ضدنا.

لا يوجد لديهم أمل، سوف يهلكون.

بند (١)

جميع القرى الواقعة في دائرة ثلاثة فراسخ من خط سير الجيش، عليها أن ترسل وفداً إلى قائد القوات تخبره بطاعتهم، وبأنهم قد رفعوا علم الجيش ذا الألوان الثلاثة: الأزرق، والأبيض، والأحمر.

بند (٢)

جميع القرى التي تحمل السلاح ضد الجيش سوف تحرق.

بند (٣)

جميع القرى التى تستسلم للجيش سوف ترفع جميعا مع علم السلطان العثمانى
- صديقنا - علم الجيش أيضا .

بند (٤)

الشيخ يجب أن يقوموا بحفظ وختم البضائع ، والبيوت ، والممتلكات الخاصة
بالممالك ، وأن يتأكدوا من عدم نقصان أى شىء منها .

بند (٥)

الشيخ ، والقضاة ، والأئمة يستمرون فى مراكزهم ، كل مواطن يستمر فى
الإقامة فى مكانه ، وتستمر إقامة الصلوات كالمعتاد كل يحمد الله على تدمير
الممالك ، ويهتف الجميع : العزة للسلطان ، والمجد للجيش الفرنسى صديق
السلطان ، واللعنة على الممالك ، وحظ سعيد لجماهير مصر

إدارة الحرب (١٣) بوناپارت

الوثيقة (٣)

رقم ٣٠١٤٧ - إلى الجنرال مارمونت (١٤)

مقر القيادة ، القاهرة ، ٢٨ / ٨ / ١٧٩٨

. . . إمكانياتنا هنا تتحسن تحسنا ملحوظا يوما بعد يوم . اذهب نيابة عنى إلى
الشيخ المسيرى واذكر له ، بين أشياء أخرى ، الأسلوب الذى احتفلنا به بمولد النبى
ﷺ ؛ قل له إننى أعقد ثلاثة أو أربعة اجتماعات كل عشرة أيام مع القانونيين ومع
أشراف القاهرة ، وأنه لا يوجد من يقتنع أكثر منى بطهارة و قدسية دين محمد ﷺ .

مجموعة ناپوليون (١٥) . بوناپارت

٢- تأثيرات وطنية وتمديدية

بالتأكيد، أثناء الحملة إلى مصر، لم يتوقف بوناپارت أبدا عن استخدام الإسلام للصالح، ولكن هذا الصالح كان متبادلا، تأكد ذلك منذ البداية وإلى النهاية.

الوثيقة (٤)

رقم ٢,٧٦٥ - إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد، الإسكندرية، ١٧٩٨/٧/٦

... أثناء هذا الوقت، أرهقنا عرب الصحراء بطوايير من ٣٥ إلى ٥٠ فارسا، يغيرون على مؤخرتنا، ويهاجمون التائهين. لم يتوقفوا عن الإغارة علينا طوال يومين كاملين، ولكنني استطعت بالأمس أن أعقد معاهدة معهم، ليست معاهدة صداقة فقط، بل أيضا، معاهدة تحالف، ثلاثة عشر رجلا من زعمائهم الرئيسيين كانوا معي بالأمس، جلست في وسطهم، وتبادلنا حديثا طويلا بعد أن اتفقنا على البنود، اجتمعنا حول مائدة، وتوعدنا بنيران جهنم، من جانبي أو من جانبهم، على كل من ينتهك اتفاقنا، الذي هو كما يلي:

«بالنسبة لهم، أن يتوقفوا عن مهاجمة مؤخرة جيشي، وأن يقدموا لي كل مساعدة يستطيعونها، وأن يزودوني بعدد الرجال الذين أطلبهم منهم للزحف ضد المماليك.

بالنسبة لي، عندما أصبح سيد مصر، سوف أعيدهم إلى الأراضي التي كانت ملكا لهم في الماضي».

تستمر الصلوات كالمعتاد في الجوامع، وأن يفتح بيتي دائما للأئمة، والقضاة المحليين، والأشراف، والرجال البارزين في الدولة مثل المفتين والزعماء الدينيين.

ستجد مرفقا بهذا:

١- مذكرة إجرائية في جلسة عقدها كبار الشيوخ وزعماء الدولة.

٢- أوامر مختلفة أصدرتها لتقودهم رويدا رويدا فى اتجاه هدفى . هذه الدولة ليست أقل مما صورها الرحالة والرواة ؛ إنها هادئة ، وأبية ، ومحترمة .

مجموعة ناپوليون (١٦) .
بوناپارت

الوثيقة (٥)

رقم ٢,٨٨٠ - إلى الجنرال كليبر (١٧)

مقر القائد - القاهرة ، ١٩ / ٧ / ١٧٩٨

لقد استلمتها فوراً ، جميعها فى وقت واحد ، رسائلك من ٢٢ ميسيدور إلى ٣ ثيرميدور (١٨) . الطريق الذى سلكته أنت هو الذى يجب أن يسلك .

منذ يومين ، أرسلت لك أمراً لتنظيم إقليم الإسكندرية ؛ لذلك عينت للديوان (مجلس القضاء) الأغا (رئيس الرسميين) وعينت المندوبين المفوضين ، الرجال الذين تعتقد أنهم أكثر ارتباطاً مع الفرنسيين ، وأكثر عداء لبكوات المماليك .

أنا لا أؤيد فقط ، القبض على كُريّم ، بل إنك سوف تجد مع التعليمات المرفقة أمراً باعتقال عدد آخر من الأفراد .

أعظم ما كنا نخشاه ، عند وصولنا ، هو احتمال أن يسبقنا الإرهاب ، الموجود كثير منه فعلاً ، والذى كان يمكن أن يعرضنا ، فى جميع الشوارع الخلفية إلى مشاهد مثل التى حدثت فى الإسكندرية . يمكن جعل جميع هؤلاء الناس يعتقدون أننا حضرنا بنفس روح القديس لويس التى يحملونها هم معهم عندما يدخلون الدول المسيحية . لكن الآن تغيرت الظروف تماماً ، لن يؤسس سمعنا ما فعلنا فى الإسكندرية ، ولكن ما نفعله فى القاهرة ، على أى حال ، لخصت لك كل النقاط ونحن على علم تام بالأحداث .

إدارة الحرب (١٩) .
بوناپارت

هذا الذى نسميه - نحن الأوروبيين - خطأ أنه «أسلمة» الحقائق (٢٠) ، لا يمثل

شيئا، من وجهة نظر المسلمين، أقل من كشف صدق الإسلام برغم ما يبدو من غرابة، فإن الإسلام لا يحتاج فقط للمعرفة، إنه يتطلبها، وهو لا يتطلبها فقط، بل يسعى إليها^(٢١).

أحاط الشيوخ بوناپارت علما ببعض أحاديث الرسول المهمة التي تدور حول هذا المعنى. من جانبه، بوناپارت يمتلك قدرة إقناع تركز على القوة (كما سوف يعلن علينا).

لذلك، هو والإسلام يمكن أن يعمل معا.

ناپوليون لم يكن راغبا في الارتجال.

- ما هي أفضل إدارة يمكن أن يعطيها لدواوين الأقاليم؟

- ما هي التعيينات التي قد يوافق على تثبيتها بصفة نهائية؟

- ما هي القوانين التي تكون فعالة في ضمان حقوق الورثة واجتناب إضاعتها؟

- ما هو النظام الذي يجب تقديمه للقضاء المدني والقضاء الجنائي؟

- ما هي التحسينات التي يمكن وضعها لإقرار حقوق الملكية وفرض الضرائب؟

- كثير من مثل هذه الأسئلة قدمها ناپوليون نفسه لديوان مصر^(٢٢).

- هل يستطيع ضابط عظيم^(٢٣) أن يسىء معاملة الديوان؟

القائد العام يتدخل فورا. هو لا يجيز القبض على أعضاء الديوان إلا بعد فحص دقيق ليثبت ما إذا كانوا مذنبين أم لا. . يجب على الإنسان أن يدرس الناس الذين يجد نفسه بينهم، ويضرب بنفسه أمثلة عادلة وصارمة أما النزوات والأعمال الطائشة فيجب على الإنسان أن يتجنبها بقدر الإمكان^(٢٤).

التعاون متبادل حول جميع النقاط؛ إذا وجبت استشارة الدواوين، والاستماع إليها باهتمام، فإن علماء المعهد المصرى سوف يتوسعون فى أنشطتهم التمدينية.

هذا المعهد، الذى يشمل أكثر الأسماء لمعانا، يتكون من أربعة أقسام: الحساب؛ وعلوم الطبيعة، والاقتصاد السياسى، والآداب والفنون^(٢٥).

منذ الجلسة الأولى^(٢٦) طرح نابوليون أكثر الأسئلة المتعلقة بالموضوع غرابة، ولكل سؤال منها، نادى على العلماء المختصين. لم يهمل شيئا، سواء أكان تطهير وإنعاش ماء النيل، أو موضوع المطاحن، أو صناعة الدقيق. ولكن آخر هذه الأسئلة يستحق اهتماما خاصا.

الوثيقة (٦)

رقم ٣,٠٩١ - الجلسة الأولى للمعهد المصرى

القاهرة، ٢٣/٨/١٧٩٨

... ما هو الوضع فى مصر بالنسبة للتعليم، والقانون، والقضاء المدنى والجنائى؟ ما هى التحسينات الممكنة فى هذه المجالات التى قد يريدها شعب مصر؟

مجموعة نابوليون^(٢٧) بوناپارت

قائمة رائعة من الأسئلة لم يبعدها نابوليون أبدا عن نظره^(٢٨).

الخطاب الذى ذكر سابقا، الذى ارسله إلى واحد من أحب جنرالاته^(٢٩)، لم يشمل سرا واحدا، ولا توجد كلمة واحدة فى هذه الصفحة لا يمكن قراءتها على الشيخ المسيرى، الذى كتب إليه، فى نفس ذاك اليوم، خطاب لا يقل أهمية^(٣٠).

أخيرا، خطاب إلى علماء، ونبلاء، وشيوخ، وأئمة، وفلاحى أقليم البحيرة، حدد الرباط التقليدى الذى أراد بوناپارت أن يبنيه بين أفكاره الدينية والأخلاقية وبين النظام المدنى.

الوثيقة (٧)

رقم ٢٨٧، ٤ - إلى علماء، ونبلاء، وشيوخ وأئمة، وفلاحى إقليم البحيرة

مقر القائد، تيرانا، ١٧/٧/١٧٩٩

لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

جميع سكان إقليم البحيرة يستحقون الانتقاد الشديد؛ لأن العناصر الحكيمة والمستنيرة متهممة بأنها لم تكبح جماح الأشرار والجهلة، ولكن الله غفور رحيم. الرسول ﷺ فى بعض أحاديثه يقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(*)، وأنا كذلك تجاهكم. لقد منحت، بهذا المرسوم، عفوا عاما عن جميع سكان إقليم البحيرة الذين أساءوا السلوك، وأصدرت الأوامر بعدم إجراء أى تحقيق ضدهم. إننى أمل مع ذلك أن سكان الإقليم، بحسن سلوكهم، سوف يجعلوننى أشعر بأنهم جديرون بهذا العفو.

إدارة الحرب (٣١) بوناپارت

هكذا يسير الدين والمجتمع المدنى معاً إلى الأمام، ومجال كل منهما يتزايد.

الوثيقة (٨)

رقم ١٠٣، ٤ - إلى المواطن فوريير، عضو الديوان

مقر القيادة، قبل عكا، ١٩/٤/١٧٩٩

استلمت رسائلك العديدة، أيها المواطن .

إننى أجز لك أن تراسل مع المعهد القومى؛ لكى نحيطهم علما، باسم المعهد

(*) [صحيح] أبوداود فى: الأدب [٤٩٤١]، والترمذى. فى: البر والصلة [١٩٢٤]، وأحمد فى «مسنده» [١٦٠/٢].

المصرى ، عن رغبته أن يتلقى سريعا التحقيقات العديدة التى طلب من اللجان المختلفة أن تقوم بها ، والسرعة التى سوف يرد بها المعهد المصرى .

أحط ديوان القاهرة علما بالنجاح الذى حققناه ضد أعدائنا ، والحماية التى قدمناها لكل من وقفوا معنا ، والإجراءات القاسية التى قمنا بها فى المدن والقرى التى أساءت التصرف ، شاملة جنين ، موطن غرار ، شيخ نابلس .

قل للديوان إنهم عندما يستلمون هذه الرسالة ، سأكون قد استوليت على مدينة عكا ، سوف أكون فى طريق عودتى إلى القاهرة ، حيث إننى شديد الشوق للوصول إليها ، بقدر اشتياقهم لرؤيتى .

أحد أول اهتماماتى سوف يكون دعوة المعهد للاجتماع ؛ لنرى ما إذا كنا نستطيع اتخاذ خطوة أخرى للأمام نحو المعرفة الإنسانية .

مجموعة نابوليون (٣٢) بوناپارت

بعد أن قدم هذا التقدير والإجلال للإسلام ، وللمدنية أيضا ، أصبح لدى بوناپارت الحق أن يتحدث بصوت عال وحاسم للشيخ ، والعلماء ، والأشراف ، وأئمة المساجد . هو لم يتوان عن فعل ذلك (٣٣) .

من ناحيتهم ، لم يتوقف الشيخ من تقديم خدمات جلية له . فى رسالته إلى الإدارة التنفيذية يوم ١٩ / ٦ / ١٧٩٩ ، التى صورَ فيها مغامرته مع «المهدى» ، ذكر بوناپارت أسماء الشيخ الذين تعاونوا معه كثيرا . هناك توجد أهم المساعدات التى قُدمت للحملة الفرنسية . ما الذى جعل أمير الحج يتخلف ؟ . بوناپارت يشرح هذا من خلال شخصية الأمير .

الوثيقة (٩)

رقم ٤٠١٨٨ - إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد - القاهرة، ١٩/٦/١٧٩٩

... ثورة أمير الحج - أمير الحج، رجل ضعيف متردد، أغدقت عليه كرما وحنانا، ولكنه لم يستطع أن يقاوم المؤامرات التي كانت تدور حوله؛ وضع نفسه في قائمة أعدائنا.

بمشاركته لقليل من عرب القبائل، وبعض المماليك، قدم نفسه إلى قائمة أعدائنا. مطاردا وملاحقا، خسر في يوم واحد جميع الحسنات التي أغدقتها عليه، وخسر الثروات، وجزءا من أسرته كانوا لا يزالون في القاهرة؛ وخسر سمعته كرجل شريف، والتي كانت له حتى ذلك الحين.

الملاك المهدي - شغب مع بداية شهر مايو، الأول من نوعه الذي نراه، وضع إقليم البحيرة في ثورة. برز رجل من أعماق أفريقيا، هبط في بلدة ديرنا، قابل العرب، وقال: إنه هو المهدي، الذي ذكره الرسول في أحاديثه. وصل ٢٠٠ رجل من المغاربة بعد أيام قليلة، وكأنها مصادفة، ووضعوا أنفسهم تحت أوامره. من المفترض ألا يظهر المهدي للناس إلا بأمر السماء. هذا الدجال ادعى أنه هبط من السماء مباشرة إلى وسط الصحراء؛ كان هذا الرجل العاري تماما محملاً بذهب غزير، وكانت لديه القدرة على إخفائه. كل يوم يضع أصابعه في إناء من اللبن، ويمر بها على شفثيه، وكان هذا هو غذاءه الوحيد الذي يمتصه. ذهب إلى دمنهور، حيث كان هناك ٦٠ رجلا من فيلق البحرية يقيمون في معسكر مكشوف بدلا من إسكانهم في حصن الرحمانية؛ فاجأهم وقطع رقابهم، بعد أن شجعه هذا النجاح، بدأ يثير خيال أتباعه، وادعى أنه عندما يلقي بعض التراب أمام مدافعنا، يمنع بارودها عن الاشتعال، ويجعل طلقات بنادقنا تسقط أمام أقدام المؤمنين، عدد كبير من الرجال شهدوا أنهم رأوا مئات المعجزات من هذا القبيل، التي كان يقوم بها كل يوم.

قائد اللواء، ليفيبشار، ترك حصن الرحمانية مع ٤٠٠ رجل لمواجهة الدجال، وعندما رأى أن عدد الأعداء يتزايد كل لحظة، أدرك استحالة التعامل بنجاح مع هذا العدد من المتعصبين. شكل فرقته على هيئة مربع، وقضى طوال اليوم يقتل من يرمون أنفسهم أمام بنادقه. بالليل فقط قام المتعصبون بإحصاء موتاهم وجرحاهم- وجدوا أن القتلى فقط كانوا أكثر من ألف رجل- وأدركوا أن الله توقف عن صنع المعجزات.

يوم ١٩ مايو، وصل الجنرال لانوس إلى دمنهور، وحشد ١٥٠٠ رجل يحملون السيوف، وترك المكان كومة من رماد، المهدي نفسه جرح عدة مرات، وشعر أن حماسه بدأ يخبو، واختبأ في غياهب الصحراء، يحيط به أتباعه.

مع ذلك، طبيعة هذه الثورة عجلت عودتي إلى مصر.

هذه الحركة غير العادية، خطط لها؛ لكي تحدث في نفس الوقت الذي كان فيه الأسطول التركي، الذي أنزل الجيش الذي دمرته في عكا، على وشك الوصول إلى الإسكندرية.

معركة على قنال مويس- الجنرال لانوس، بعد أن أعاد الاستيلاء على إقليم البحيرة، لاحق المغاربة والمهاجرين إلى قرية كفر- فونيج بإقليم الشرقية، قتل ١٥٠ رجلا منهم، وأحرق القرية.

وصلت يوم ١٥ مايو إلى العريش في طريق عودتي من سوريا. سخونة رمل الصحراء رفعت درجة الحرارة إلى ٤٤ درجة مئوية، وحرارة الجو وصلت إلى ٣٤ درجة مئوية، وكان علينا أن نرحل ١١ فرسخا يوميا لنصل إلى آبار بها قليل من الماء المالح الكبيرتي الفاتر، وكنا نشربه بشوق أكثر من شوقنا إلى زجاجة شمبانيا في مطاعم فرنسا.

دخلت إلى القاهرة يوم ٢٦، يحيطني حشد كبير من الناس في موكب يملأ الشوارع، مع جميع قوات البوليس من الأنكشارية والأغوات، وسلالات أبي بكر وفاطمة، وأبناء الأولياء الذين يجعلهم المؤمنون، وكبار المفتين يمتطون البغال؛ لأن

النبي يفضل هذا الحيوان ، وكبار التجار ، وبطريك الأقباط يسيرون فى مقدمة الموكب ، ويسير اليونانيون فى المؤخرة .

كان يجب على أن أعبر عن رضائى للجنرال دوجوا والجنرال لانوس وقائد الكتبية دورانتو .

الشيوخ : البكرى ، والشرقاوى ، والسادات ، والمهدى ، والصاوى ألزموا أنفسهم بأفضل سلوك كنت أريده ، بشروا باسمنا كل يوم فى المساجد ، كان لتعاليمهم أعظم تأثير على الأقاليم . أغلبهم كانوا من سلالة الخلفاء الأوائل ، ويتمتعون باحترام الشعب .

بوناپارت

إدارة الحرب

بوناپارت كان يتراسل . بانتظام مع شريف مكة . . . اهتم بالاتصال به منذ البداية .

الوثيقة (١٠)

رقم ٣،١١٠ - إلى شريف مكة

مقر القائد، القاهرة، ٢٥/٨/١٧٩٨

مع إحاطتكم علما بدخول جيش فرنسا إلى مصر ، أشعر بحاجتى أن أؤكد لكم عزمى الأكيد أن أحمى بجميع الوسائل ، رحلات الحجاج إلى مكة ، والجوامع والمؤسسات التى تمتلكها مكة والمدينة فى مصر ستظل ملكاً لها ، كما كانت فى الماضى . نحن أصدقاء للمسلمين ، ولدين النبى ، نحن نرغب أن نفعل كل ما يسرك وكل ما هو فى صالح الدين .

أنا أريد أن يُعرف فى كل مكان أن قوافل الحجاج لن تتعرض لأى تدخل ، وسوف نوفر لها الحماية بأسلوب يجعلها لا تخاف من العرب .

بوناپارت

مجموعة ناپوليون

هذا المبدأ- مثل الكثير غيره- أخذ به الإنجليز وطبقوه . فى عام ١٩٠٣ ، عندما قام الخديوى برحلة إلى مكة ، كلفوا فرقة قوية من الجيش المصرى بمصاحبته وحمايته ضد بدو شبه الجزيرة العربية . عدد من الشخصيات التركية من سوريا وآسيا الصغرى صاحبوا القافلة . نحن لا نقلل من شأن الأهمية السياسية لهذا العمل .

بالرغم من وضوح الرسالة السابقة ، قام بوناپارت ، بعد يومين لاحقين ، بالكتابة ثانية إلى شريف مكة ، يعطيه أكثر تأكيدات الإخلاص الرسمية . كل هذا كان يدور حول الحماية الفعالة للمسلمين . الفكرة كانت عزيزة إليه ؛ وكان ينتظر رد شريف مكة مع عودة رسوله .

الوثيقة (١١)

رقم: ٣،١٣٦ - إلى شريف مكة

مقر القيادة، القاهرة، ١٧٩٨/٨/٢٧

إننى أسرع لإخباركم بوصولى إلى القاهرة على رأس الجيش الفرنسى ، وكذلك بالإجراءات التى اتخذتها لأحافظ لجوامع مكة والمدينة المقدسة على مصادر الدخل المكرسة لها . من خلال الرسائل التى سوف يكتبها لكم ديوان وتجار هذه الدولة سوف ترون قدر اهتمامى بحماية الأئمة ، والشرفاء ، ورجال القانون ؛ سوف ترى كذلك أننى عينت لأمير الحج ، مصطفى بك أبا-بحر باشا، حاكم القاهرة ، وأنه سوف يقوم بحراسة القافلة بقوات تقيها من تطفل العرب .

أود كثيرا أن أعرف ، من خلال ردكم ، ما إذا كنتم تريدون منى أن أحرس القافلة بقواتى أنا ، أم فقط بقوات الفرسان من رجال هذه الدولة ؛ ولكن على أى حال أرجو أن تخبر التجار والمؤمنين ، أن المسلمين لن يجدوا أصدقاء أفضل منا ، وأنه لا يوجد شيء يخيف التجارة ، لأنها سوف تجد حماية خاصة .

إننى أنتظر إجابتكم مع عودة رسولى .

لك أيضا أن تخبرنى عن حاجتكم من القمح أو الأرز، وسوف أرى بنفسى أنها أرسلت إليكم .

إدارة الحرب (٣٤) بوناپارت

حتى نهاية إقامته فى مصر ، كان بوناپارت مراسلا وصديقا لشريف مكة .

الوثيقة (١٢)

رقم : ٤,٢٣٤٠ - إلى شريف مكة (٣٥)

مقر القيادة، القاهرة، ٣٠/٦/١٧٩٩

بسم الله الغفور الرحيم .

لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

لقد تلقيت رسالتكم وفهمت محتوياتها . لقد أصدرت الأوامر التى من خلالها سوف أعبر لكم عن عظيم التقدير والصدقة التى أكنها لكم .

إننى آمل أنكم ، بحلول الموسم القادم ، سوف ترسلون عددا كبيرا من السفن المحملة بالبن وبالسلع الهندية . سوف توفر لها حماية دائمة .

إننى أشكركم بما فعلتموه من نقل رسائللى إلى الهند وإلى الجزيرة الفرنسية . أرجو أن تنتقل هذه أيضا وأن ترسل الرد إلى .

أرجو أن تثق فى احترامى لكم ، وفى اهتمامى بصدقتكم .

بوناپارت .

أوراق طبعت بأوامر من القنصل الأول (٣٦) .

الإدارة التنفيذية كانت تستشّار بانتظام^(٣٧) عن الخدمات التي لم يتوقف بوناپارت عن طلبها من شريف مكة مقابل الحماية التي قدمتها فرنسا للمسلمين^(٣٨).

الوثيقة (١٣)

رقم ٤.٢٢٥ - إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد، القاهرة، ٢٨/٦/١٧٩٩

... أنا لم أتلّق رسائل من فرنسا منذ وصول مورو، الذي أحضر إلى أخبارا من يوم ٥ نيفوس^(٣٩) ومن بيلليل يوم ٢٠ بلوقيوس^(٤٠). أرجو أن أتلّق رسائل أكثر دون إبطاء.

قلقنا الشديد دائما يدور حول فرنسا. إذا كان الملوك سوف يهاجمونها، سوف تجدون في جبهاتنا الراسخة، وفي عبقرية الشعب القتالية، وفي جنرالانكم، الوسائل الكفيلة بالرد على وقاحتهم ردا مميّتا. أسعد أيامنا ستكون تلك التي نعلم فيها بتكوين أول جمهورية في ألمانيا.

سوف أرسل إليكم قريبا رسما لقنال السويس، وخرائط لمصر بأكملها، مع قنواتها، وخرائط لسوريا كذلك.

لدينا علاقات منتظمة مع مكة. كتبت عددا من الرسائل إلى الهند والجزر الفرنسية. وأنتظر الرد بعد أيام قليلة. شريف مكة هو الوسيط في هذه الرسائل.

مجموعة نابوليون^(٤١) بوناپارت

بوناپارت كان أول من تفهم الأهمية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للحج إلى مكة، أهمية ما زالت تعتبر - وإن كان من وجهة النظر الاجتماعية فقط - أنها لا تقبل الجدل^(٤٢).

حجاج المغرب هم موضوع دراسة خاصة.

الوثيقة (١٤)

رقم ٤٠٣٥٨ - إلى سلطان المغرب

القاهرة، ١٥/٨/١٧٩٩

لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

بسم الله الغفور الرحيم .

إلى سلطان المغرب، حواري الكعبة المكرمة، القوى بين الملوك، والمؤمن المخلص بشريعة النبي الصادق ﷺ .

مع عودة حجاج المغرب، أخذنا هذه الفرصة لكي نكتب إليك هذه الرسالة نحيطكم بها علما أننا قدمنا لهم جميع المساعدات الممكنة؛ لأننا نريد في جميع المناسبات أن نفعل ما نستطيع لنقنعكم بقدر الاحترام الذي نكنه لكم . إننا نوصي أن تقوموا، في مقابل ذلك، بحسن معاملة جميع الفرنسيين الذين يقيمون في ولاياتكم، أو الذين تحضرهم شئونهم التجارية إليها .

مجموعة ناپوليون (٤٣)

بوناپارت

لا يوجد شيء أكثر صدقا من هذه السياسة . ألم تملها في الوقت نفسه، أكثر المشاعر نبلا، وتكفلها معظم المصالح المشتركة؟

أما بالنسبة للتعصب، بوناپارت لم يتوقف أبدا عن أن يكون خصما له، ولكن من خلال من يجب على الإنسان أو يمكن لإنسان منفرد أن يعارضه؟ من خلال الشيوخ والشرفاء، من خلال جميع من يستخدمون وقتهم وإمكانياتهم في تثقيف الناس^(٤٤) .

بقدر ما كان بوناپارت يفضل دينا واحدا عظيما، ينظم ويساهم في التنظيم، هو أيضا يبغض التعصب الديني . عامة الشعب قد يكونون متعصبين، ولكن رجال الدين ليسوا كذلك . لذلك قام من خلالهم بمهاجمة التعصب؛ لكي يحاصر الوباء، ويهزمه بعد ذلك^(٤٥) .

الوثيقة (١٥)

رقم ٤,٣٧٤ إلى الجنرال كليبر

مقر القائد، الإسكندرية، ٢٢/٨/١٧٩٩

المواطن - جنرال، سوف تجد مرفقا بهذا، أمرا بتعيينك قائدا عاما للجيش .
الخوف من عودة ظهور الأسطول الإنجليزي من لحظة إلى أخرى أجبرنى على
الرحيل يومين أو ثلاثة قبل الموعد المحدد . . .

أنت تفهم، مواطن - جنرال، ما كان عليه سلوكى فى الإشراف بنفسى على
سياسة مصر الداخلية . مهما يكن ما نفعله، سوف يظل المسيحيون هم أصدقاءنا
ولكن يجب أن تمنعهم من الغطرسة المفرطة، حتى لا يعاملنا الأتراك بنفس التطرف
الذى يعاملون به المسيحيين، والذى قد يبعدهم عن التصالح . يجب على الإنسان
أن يكبح التعصب حتى يستطيع أن يجتث جذوره^(٤٦) . بتشكيل رأى كبار شيوخ
مصر، يمكن تشكيل رأى مصر بأكملها، ورأى زعماء هذا الشعب . لا يوجد من
هم أكثر خطرا علينا^(٤٧) من الشيوخ الذين يخافون، والذين لا يعرفون كيف
يقاتلون ومن يقاتلون، والذين هم مثل كل القساوسة، يثيرون التعصب دون أن
يكونوا هم أنفسهم متعصبين . . .

بعد أن تعودت رؤية الجزاء على الجهود والمحن فى حكم التاريخ، أنا أترك
مصر بأسف شديد . مصالح الوطن الأم، وأمجادها، والإحساس بالواجب،
والأحداث غير العادية التى أملت به، جعلتنى أقرر العودة إلى أوروبا . بقلبى وعقلى
سأظل معك؛ نجاحاتك سوف تكون عزيزة على كتلك التى كان يمكن أن أنجزها
أنا، وسوف أعتبرها أياما ضائعة، جميع أيام حياتى التى لم أفعل فيها شيئا للجيش
الذى تركته تحت قيادتك، وأيضا لتقوية المؤسسة الهائلة الذى وضعنا أساساتها فى
التو . . .

بونابارت

إدارة الحرب (٤٨)

٣- ظواهر دينية

كان قدر بوناپارت ألا يندهش إطلاقا، وإنما يقود الناس من دهشة إلى أخرى .

عندما رأى جنوده، القائد العام لجيش الحملة الفرنسية وهو يترأس صلوات المسلمين، ارتبك أكثر من واحد منهم، ولم يحتج أى منهم . بقلبه كان بوناپارت يعتقد مبادئ الثورة الفرنسية .

هذه الروح الآن ، المبنية على الربوبية الصادقة، أليست هى معيارا عظيما لروح المسلمين؟ (٤٩) .

أثناء إقامته بمصر، وجه بوناپارت اهتماماته الخيرية، باطراد إلى أدق تفاصيل الحياة الدينية^(٥٠) وهكذا عندما احتدت الخلافات مع تركيا، استطاع بطريقة شرعية سليمة أن يستشهد بالخدمات التى قدمها لقضية الإسلام . لقد وضع نفسه بحزم على أرضية المسلمين، قال : كيف يمكن لتركيا أن تكون صديقة لفرنسا عندما كانت فرنسا قوة مسيحية، وأن تبتعد عنها بعد أن كيفت فرنسا نفسها مع الإسلام؟ دع السلطان يتفهم جيدا أفضل مصالحه، وأن يدافع ضد التقسيم المستهدف لإمبراطوريته، بين روسيا وألمانيا^(٥١) .

نحن نعرف أن بوناپارت كان واضحا فى عدائه لفكرة الثالوث المقدس . بل كان يسعده أن يسخر منها .

الوثيقة (١٦)

رقم ٤,٢٩٦ - إلى الديوان فى القاهرة

مقر القيادة، الرحمانية، ٢١ / ٧ / ١٧٩٩

... يوجد على ظهر هذا الأسطول روسيون ممن اضطهدوا ممن يؤمنون بوحداية الله؛ لأنه طبقا لافتراءاتهم يوجد ثلاثة منهم . ولكنهم سوف يرون بعد وقت ليس بعيدا أن عدد الآلهة لا يصنع القوة، وأنه لا يوجد إلا «أب» واحد للنصر،

هو الغفور الرحيم ، يقاتل من أجل كل ما هو طيب . ويخزي خطط الأشرار ، والذي بحكمته قضى بوجوب حضوري إلى مصر ؛ لكى أغير صورتها وأستبدل حكم التدمير بحكم النظام والعدل ، هو أعطى بذلك رمزا عن قدرته المطلقة ، لأننا فعلنا ما لا يستطيع أبدا أن يفعله من يؤمنون بثلاثة آلهة - نحن الذين نؤمن بوجود أعلى واحد يحكم الطبيعة والكون

إدارة الحرب (٥٢) بوناپارت

علما بأن بوناپارت لديه مثل هذه الكراهية لعقيدة الثالوث المقدس (٥٣) هل يمكن للإنسان أن يتعجب كثيرا ؛ لأنه تحدث بمثل هذا الحب عن دين النبي محمد ﷺ ؟ «دين النبي محمد ﷺ الذي أحبه» ، قال ببساطة وصدق (٥٤) .
ما أثار دهشتي أكثر ، هو رؤية القائد العام وهو يقوم بالأعمال الدينية التى هى - عادة - مسئولية الباشا .

الوثيقة (١٧)

رقم ٣,٩٥٢ - إلى الإدارة التنفيذية

مقر القيادة، القاهرة، ١٠/٢/١٧٩٩

... فى هذه المناسبة ، اصطحبت معى الملاً ، أكثر الرجال احتراماً فى الإمبراطورية الإسلامية ، بعد مفتى القسطنطينية ، يحترمه شيوخ المذاهب الأربعة الرئيسية ، ويحترمه أمير الحج .

شهر رمضان ، الذى بدأ بالأمس ، احتفلت أنا به بموكب عظيم ؛ قمت بجميع المهام التى اعتاد الباشا أن يقوم بها .

إدارة الحرب (٥٥) بوناپارت

الوثيقة (١٨)

رقم ٤.٣٦٢ - أمر (٥٦)

مقر القائد، القاهرة، ١٦/٨/١٧٩٩

حكام الأقاليم، بخطاب دورى باللغة العربية سوف يرسل إلى جميع القرى، سوف يحاطون علما بفخامة الاحتفال بمولد النبى ﷺ الذى أقيم فى القاهرة. لن يذكر الإنسان أنه رأى شيئا يمثل هذه العظمة.

جميع وحدات الجيش فى القاهرة، أنيرت بأعداد كثيرة من المشاعل، وقامت بزيارة الشيخ البكرى، حيث كان القائد العام يتناول طعام العشاء مع مصطفى باشا وجميع كبار الضباط الذين أسروا فى معركة أبى قير. القائد العام كان موجودا أثناء قراءة التواشيع فى مدح الرسول، وكبار الشيوخ يحيطون به، أمر بإقامة الصلاة، ثم استمع إلى قراءة السيرة النبوية، الباشا وجميع الأتراك المسجونين، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم وهم يرون قدر الاحترام الذى يكنه الفرنسيون للإسلام، والقانون، ولأحب الأنبياء إلى الله.

القائد العام أراد أن يبرهن على رضائه عن الشيخ غريانى حاكم الإسكندرية، والشيخ المسيرى رئيس ديوان الإسكندرية - رجلان يمجدان لحكمتهما وتقواهما - ألبس كلا منهما معطفا عظيم القيمة.

هذا الأمر الذى صدر اليوم سوف يترجم إلى اللغة العربية، ويطبع، وترسل ثلاثون نسخة منه إلى جميع حكام الأقاليم.

إدارة الحرب (٥٧) بوناپارت

عندما كان بوناپارت، قبل ذلك بسنة واحدة، يشكر مينو للتبجيلات التى قدمها للنبى محمد ﷺ، من كان يعتقد أنه سوف يذهب إلى هذا المدى؟ بوناپارت، مع ذلك، ذهب فعلا إلى مدى غاية فى البعد، وعقد الميثاق الأخلاقى. بين فرنسا والإسلام.

بونابارت كان له الحق إذا أن يكتب كلمة «قلب» وهو يتحدث عن التقارب بين فرنسا والإسلام^(٥٩) هو، العنيد العظيم الذى لا يهدأ، كان ودودا تجاه الإسلام.

٤- آمال إسلامية

هذه الآمال، أو التوقعات، توجد فى شكلين:

الأول، مادي، وفى نفس الوقت، أخلاقي وديني.

أن تكفل فرنسا أعمال الإسلام، وأن المسلمين يمكنهم، من الآن فصاعدا، أن يعتبروا أن فرنسا تحميهم بصدق: هذه التأكيدات، كما رأينا، لم يتوقف بونابارت أبدا عن تقديمها بسخاء، ولم يتوقف أيضا عن الوفاء بكلمته.

الثاني، ديني بحث. البلاغ الصادر إلى جماهير مصر فعل أفضل من تصديق هذه الآمال، إنه قام بتكريسها^(٦٠).

بل يوجد ما هو أكثر من ذلك. يوجد أيضا قبول الرمز. الهلال فى مقابل الصليب^(٦١). ألم يكن هذا الاقتراح هو الذى برز من محصلة الوثائق التالية؟ نحن نطرح السؤال بدون أن نحاول مزج التعليق مع النصوص^(٦٢).

الوثيقة (١٩)

رقم ٣,٠٧٧ - إلى المواطن بوقوازينز

مفتش الديوان فى القاهرة

مقر القائد، القاهرة، ٢٢/٨/١٧٩٨

المواطن بوقوازينز سوف يرحل إلى دمياط، ومن هناك سوف يصعد إلى باخرة تركية أو يونانية تأخذه إلى يافا، سوف يحمل معه الرسالة المرفقة الموجهة إلى أحمد باشا، سوف يطلب مقابله، وسوف يروى له بصوت واثق أن المسلمين لن يجدوا فى أوروبا أصدقاء أصدق منا؛ وإننى قد تأملت كثيرا من الاعتقاد السائد فى سوريا أننى أخطط للاستيلاء على القدس وتدمير دين الرسول محمد؛ ويؤكد له أن هذه

الفكرة بعيدة عن قلبنا بقدر ما هي بعيدة عن عقلنا، وأنه يستطيع أن يعيش فى أمان، وأننى أعرفه من سمعته أنه رجل فاضل؛ وأنه يستطيع أن يطمئن تماما، إذا رغب أن يتصرف كما يجب مع الرجال الذين لا يسيئون إليه، فإننى سوف أكون صديقا له، وأن وصولنا إلى مصر سوف لا ينقص قوته، بل إنه يستطيع فقط أن يزيد قوته؛ وإننى أعرف أن الممالك، الذين قمت بتدميرهم، كانوا أعداء له، وأنه لا يجب أن يخلط بيننا وبين بقية الأوروبيين، إذ إننا بدلا من أن نستعبد المسلمين قمنا بتحريرهم، وأخيرا سوف يروى له ما يحدث فى مصر، وأن الأنسب له أن يتخلى عن رغبة التسليح، وإقحام نفسه فى هذا الصراع.

إذا كان أحمد باشا غير موجود فى يافا، يجب عليه أن يذهب إلى القديس چين بمدينة عكا، ولكنه يجب أن يحرص أولا على رؤية العائلات الأوروبية، وخاصة نائب قنصل فرنسا، والحصول منهم على معلومات عما يحدث فى القسطنطينية، وعما يجرى فى سوريا

مجموعة نابوليون (٦٣) بوناپارت

الوثيقة (٢٠)

رقم ٣٠١٤٨ - إلى الشيخ المسيرى

مقر القائد، القاهرة، ٢٨/٨/١٧٩٨

الجنرال كليبر أعطانى تقريراً عن تصرفاتكم، وأنا سعيد به. أنت تعرف الاحترام الخاص الذى أحمله لكم منذ تعارفنا أول مرة. أرجو ألا يتأخر الوقت طويلا قبل أن أتمكن من جمع جميع رجال الدولة من الحكماء والمثقفين، وأن أقيم نظام حكم متوازن^(٦٤). مبنى على أساس مبادئ القرآن الصادقة، والتى يمكنها وحدها أن تسعد الناس.

أرجو أن تعتمد دائما على احترامى ومساندتى.

مجموعة نابوليون (٦٥) بوناپارت

الوثيقة (٢١)

رقم ٣,٧٨٥ - إلى سكان القاهرة

مقر القائد، القاهرة، ٢١/١٢/١٧٩٨

عناصر فاسدة أضلت شريحة منكم، لقد هلكوا. الله أمرنى أن أكون غفورا ورحيما بالناس: لقد كنت غفورا ورحيما بكم.

أنا غضبت منكم بسبب ثورتكم. حرمتكم شهرين كاملين من ديوانكم؛ ولكنى أعيده لكم اليوم: سلوككم الحسن أزال وصمة ثورتكم.

السادة الشرفاء، والعلماء، وأئمة المساجد، أحيطوا الناس علما بأن أولئك الذين يعلنون أنفسهم أعداء لى لن يجدوا ملجأ لهم فى هذه الدنيا أو فى الآخرة. هل يوجد إنسان أعمى لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى أن القدر نفسه هو الذى يوجه جميع أعمالى؟ هل يوجد أى إنسان لديه شك كاف لكى لا يصدق أن كل شىء فى هذا الكون الشاسع يخضع لإمبراطورية القدر؟

أحيط الناس علما أنه منذ بداية العالم، كتب على أننى، بعد أن أقوم بتدمير أعداء الإسلام وقهر الصليب، سوف أحضر إلى هنا من الغرب البعيد، لأنجز المهمة التى فرضت على. ساعدوا الناس؛ لكى يروا أن فى القرآن الكريم، فى أكثر من عشرين آية، يوجد أن ما يحدث الآن قد قدر مسبقا، وشرح كذلك، ما سوف يحدث.

دعهم يتغيرون إذا، أولئك الذين لا يمنعهم من لعننا سوى خوفهم من أسلحتنا؛ لأنهم وهم يدعون السماء ضدنا، هم يقومون بلعن أنفسهم. دع المؤمنين الصالحين يقومون بالدعاء من أجل نجاح جيوشنا.

أنا أستطيع أن أحاسب كل واحد منكم عن أكثر أفكاره سرية؛ لأننى أعرف كل شىء، حتى ما لم تتحدثوا به لأى إنسان، ولكن سوف يأتى يوم يرى فيه العالم

جميعه بالبينة ، أن أوامر عليا هي التي توجهنى ، وأن جميع جهود الإنسان لن تستطيع أن تقهرنى - سعداء أولئك الذين سوف ينضمون إلى بنية مخلصه .

إدارة الحرب (٦٦) بونابارت

ما يؤكد أهمية السياسات التي بدأ بونابارت يعمل بها فى مصر ، هو الهدف الذى وضعه لنفسه قبل أن يغادر أرض فرنسا : تطوير العالم حضاريا وعلميا ، ليس باستبعاد الدين ، بل باستبعاد الديكتاتوريات التي تؤيد حكم البابا المطلق .
بأى أسلوب نحكم به ، ألم تكن هذه سياسة أوضحت نفسها تماما خلال الفقرات التالية؟

الوثيقة (٢٢)

رقم ٢٠٤٧٠ - إلى الجنرال برون^(٦٧) ، قائد عام الجيش فى إيطاليا

باريس ، ٢ / ٤ / ١٧٩٨

... لديك الكثير لكى تفعله فى الدولة التى أنت بها . أرجو أن يكون هذا هو التكاليف الذى تقوم بعده بالحضور والانضمام إلى ، لتعطى الدفعة الأخيرة لأعظم مشروع لم ينفذ الرجال مثله قبل ذلك .
اجمع حولك رجالا موهوبين وأقوياء .

أنا أوصيك أن تحمى مرصد ميلانو ، ومن بين الآخرين ، أوريانو ، الذى يشكو من السلوك تجاهه .. هو أفضل مهندس وجد حتى الآن .

مجموعة ناپوليون (٦٨) بونابارت

كل شئ أعده مسبقا ، لم تنس أى تفاصيل ، إذا لزم الأمر ، سوف يعود بونابارت إلى التبرير ؛ ليحمل معه المواطن مونج ، وكذلك أوراق الدعاية المطبوعة باللغة العربية .

بالتراجع عن إجراءات بيع ممتلكات الكنيسة فى إيطاليا ، وإنهاء سلطة الإكليروس ، إن لم تكن سلطة البابا نفسه ، كان بونابارت يوازن فعلا بين هاتين

القوتين : مفهوم التسامح ومفهوم الدين ، والتي كان يريد أن يلعب بإحدهما ضد الأخرى ، طبقا للظروف .

الوثيقة (٢٣)

رقم ٢،٤٧١ - إلى المواطن مونج فى روما

باريس ، ١٧٩٨/٤/٢

استلمت ، ياعزيزى مونج ، رسالتك المؤرخة يوم ٣٠ فينتوز (٦٩) لابد أن يكون ديسايكس قد وصل . أرجو أن تعطيه الرسالة المرفقة . . .
أنا أعتد عليك وعلى الدعاية المطبوعة باللغة العربية ، إذا لزم الأمر سوف أعود مع سرية إلى أعلى التبر لإحضارك .

مجموعة نابوليون (٧٠) بوناپارت

ليس من الضرورة علينا أن نعود خلفا إلى دور بوناپارت السياسى فى القاهرة ؛ دعنا فقط نلاحظ إلى أى قدر قام هو - وهو يستعد لمغادرة مصر - بتقييم حركة العالم التى قررها هو ومدى عبء العالم .

الوثيقة (١٢٣)

(مكملة للوثيقة رقم ١٥)

رقم ٤،٣٧٤ - إلى الجنرال كليبر

مقر القائد ، الإسكندرية ، ١٧٩٩/٨/٢٢

. . . المركز المهم الذى سوف تشغله كقائد عام ، سوف يضعك فى موقف يتيح لك استخدام المهارات التى منحها الطبيعة لك ؛ ما يحدث هنا له أهمية عظيمة ، وعواقبها سوف تكون بالغة الأهمية للتجارة وللحضارة ؛ هذا سوف يكون عهدا تؤرخ منه الثورات العظيمة .

إدارة الحرب (٧١) بوناپارت

فى هذه الثورات قد يدخل الإسلام كعامل حاسم . ويوجد اعتناء ضئيل أن البيئة يمكن جمعها . بتفصيلاتها الكاملة^(٧٢) .

نحن نتقدم بالشكر للسلطات الحربية التى مكتتنا من استخراج نسخ للوثائق التالية .

وثائق ومذكرات لم تنشر . تتعلق ببلاغ القاهرة .^(٧٣)

مراسلات نابوليون الأول

* لجنة .

* وزارة الحرب .

* سجلات تاريخية .

* مقر قيادة هيئة الجيش .

الوثيقة (٢٤)

نسخة طبق الأصل للجزء الثانى من النسخة الخطية لبلاغ كتبه الجنرال بوناپارت فور عودته من سوريا ووجهه إلى شعب مصر ، باسم ديوان القاهرة

هو كثيراً ما يتعلم من الأدعية الموجودة فى القرآن التى بدأ يعرفها ويحبها ، ونحن نعلم أن خطته^(*) هى أن يبنى جامعاً ضخماً ، ثم يعتنق الإسلام بعد ذلك . نحن يجب أن نحيطك علماً أن جزار باشا^(**) أطلق عليه الشعب الذى اضطهده اسم جزار . خطط لكى يغزو مصر . جمع من العثمانيين الذين كان جندهم فى عكا ، يركزون أنظارهم على أقاليم سوريا ومصر الجميلة ، على أمل أن يقوموا بنهب ممتلكاتها . هو استولى فعلاً على العريش . القائد العام بوناپارت خرج إليه ، هزم جنوده فى العريش ، وأسر أكثر من ثلاثة آلاف منهم قبل أن يتقدم إلى غزة

(*) كلمة ملغية من الأصل .

(**) كلمتان ملغيتان من الأصل .

ويستولى على هذه المدينة . المسلمون الصادقون أسرعوا لمقابلته ، هو (.) (*) جميعهم ، واستولى على الحصن ، وهزم ثانية رجال الجزائر ، الذين كانوا يفرون أمامه كالطيور وكالفئران يطاردهم القط . بعد وصوله إلى رمله ، استولى على ٢٠٠ قرية ماء ومؤن من البسكويت كان يعدها الجزائر لزحفه إلى مصر . من هناك ، - منتصراً دائماً - وصل بوناپارت إلى يافا ، واستولى على المدينة بعد يومين من القتال وأخذ ٥٠٠٠ أسير ، مع كمية ضخمة من المؤن المخزونة ؛ لأن المدينة كان سلوكها سيئاً ، أباح نهبها ، بعد أن قتل جميع الجنود . الناس من مصر هم فقط الذين أنقذوا وأرسلوا إلى ديارهم على ظهر مائتي قارب محملة بالمؤن ؛ لأن المصريين هم أبناءه . من هناك ، قام بوناپارت بمطاردة رجال الجزائر ، حيث كان معهم النابلسيون ، هزمهم وقتل عددا كبيرا منهم . عند وصوله إلى عكا ، دمر حوائط قصر الجزائر وحوائط المدينة كلها . من خلال عدة معارك^(٧٥) ، قهر جميع أعدائه الذين أرادوا معارضة خطته ، إذ إنه كان مثل سيف الله . بعد ذلك ، قرر أن جماهير مصر تطلب حضوره بعد غياب أربعة أشهر ، وأن بعض الأشرار كانوا يحاولون جر الدولة إلى العصيان ، وأن العرب كانوا يقومون بأعمال النهب وأن المماليك يحرقون . خرج إلى مصر ووصل إليها ، وأحمد جميع العواصف ، وبعودته تغير حال شعب مصر .

(هذا المستخرج المؤرخ «بريرال السنة السابعة» بتقويم الثورة . كتب بيد السيد جومارد .) .

هكذا كانت أهمية هذه الوثيقة^(٧٦) التي تشعر بالتزامنا أن نتبعها بالرسائل والمذكرات التالية ، والتي استمدت مثلها من سجلات إدارة الحرب ، هذه الوثائق والمذكرات بالتأكيد تسجل ذروة العلاقات الفرنسية / الإسلامية .

الوثيقة (٢٥)

خطاب أرسله السيد جومارد ، ٣٠ / ٨ / ١٨٥٦

* وزارة الحرب .

* سجلات تاريخية .

* مقر هيئة الجيش .

عزيزى الجنرال

أنا لا أستطيع أن أرفض المطلب الذى أرسلته إلى . البلاغ المستنبت تم إعداده ، بقدر المستطاع ، فى غياب البلاغ الأصيل الذى فقد فى قصر الإليزيه . هذه وثيقة افتقدتها كثيرا : بتقديمي هذا السجل الأصيل الثمين إلى رئيس الدولة ، كنت أعتقد أنه سيكون أكثر أمنا هناك عن وجوده معي . أظن أنك قد أحطت علما بالموضوع .

سيدى الجنرال ؛ منذ أربع أو خمس سنوات مضت أخذت مبادرة تقديمه ، مع الاحترام ، إلى الأمير الذى رحب به باهتمام . طلبته منذ ذاك الحين تكرارا من أمين المكتبة ومن السيد موكارت ؛ لكى ألقى عليه نظرة ؛ لم يهتم أحد بمطالباتي ، ولم أتخذ أنا أى خطوات أخرى .

أنا أعتقد أن النسخة الجديدة التى أرسلها إليك هى - سطر بسطر - كل ما يمكن استنباطه من قراءة الأصل .

أرفقت لك بعض كلمات قليلة تشرح الأصل .

تأكد يا عزيزى الجنرال ، أننى شديد الأسف ؛ لأننى أشعر أن وضعك لم يتحسن .

حاشية : دون شك مازال **جومارد** يوجد ضابط قديم ممن شاركوا فى الحملة المصرية ، يستطيع أن يوضح للجنة حقائق هذه الحملات .

إلى الجنرال أوبيك .

ملاحظة للسيد چومارد^(٧٧) عن البلاغ الذى أصدره ديوان مصر عند عودة الحملة السورية . (سيرة ذاتية للجنرال بوناپارت) .

* وزارة الحرب .

* سجلات تاريخية .

* مقر هيئة الجيش .

عند عودته من الحملة السورية ، شعر القائد العام بوناپارت بالحاجة إلى إنعاش الثقة لدى سكان القاهرة . الجيش الفرنسى دخل من «بوابة النصر» . الجنود كانوا يحملون سعف النخيل رمزا للنصر ؛ جميع من لهم أية منزلة فى المدينة أظهروا أنفسهم أمام قوات الجيش . مسيرة القوات ، والمناورات المتنوعة ، والموسيقى العسكرية ، والجموع الحاشدة ، جميعها معا جعلته يوم احتفال بالنصر . لكى يصل إلى عقول الناس ، قرر القائد العام أن يقوم الديوان بإصدار بلاغ إلى سكان مصر ، وأعطاهم أفكاره لإعداد هذا البلاغ ، وعندما رأى أن ما فعلوه لم يكن ملائما ، بدأ هو يمليه عليهم . هذا ما يراه الإنسان من قراءة السطر الأول من هذا المستخرج ، بعد كلمات «التحية لكم» .

«يجب علينا أن نحيطكم علما أن . . .» (هكذا يقرأ السطر الأول . بعد ذلك ، أضاف هو ، بخط يده ، ثلاثة سطور قبل الفقرة الأخيرة .) يبدو أن من كان يكتب ما يمليه لم يكن سريعا بالقدر الكافى لملاحقة كلماته^(٧٨) . قلم يمر على بداية سطرين يشير إلى أن الجنرال بوناپارت فقد صبره .

أخيرا أمسك هو بالقلم واستمر يكتب صفحتين كاملتين ، الأسلوب يتحرك سريعا ، مثل الكتابة نفسها ، ويمكن للإنسان أن يرى قوة البلاغة الحربية تبرز خلال السطور . هذه الوثيقة غير مقروءة تقريبا لأى إنسان لا يعرف خط يد المؤلف ، ولا يعرف خاصة تاريخ الحملة السورية .

هذه النسخة راجعها ووافق عليها السيد دى مينيغال ، وكذلك السادة تشايبوس ولوداك ، ولاتران ، وأميديه ، وجميعهم يعرفون خط يد الجنرال بوناپارت ، وهؤلاء السادة أعلنوا أن الكلمات الباقية التى لم تنسخ هى كلمات لا يمكن قراءتها .

جومارد .

الوثيقة (٢٦)

ثلاث ملاحظات تكميلية^(٧٩)

* وزارة الحرب .

* سجلات تاريخية .

* مقر هيئة الجيش .

(الأولى)

ملاحظة عن تاريخ إعداد هذه المسودة ، وتاريخ إصدار البلاغ .
كل شئ يدل على أن هذه المسودة الخطية كتبت فى القاهرة أثناء يوم ٢٦ پريريال أو فى ليلة ٢٦ - ٢٧ پريريال .

بالنسبة للبلاغ ، كان يجب إعداده ونشره بحلول يوم ٢٧ پريريال على أكثر تقدير ؛ ولكن بالتأكيد ليس يوم ٢٦ ، بمعنى ، اليوم الذى دخل فيه القائد العام ، طبقا لكلمات نص البلاغ التى تقول «دخل القاهرة من بوابة النصر يوم الأربعاء الموافق يوم ١٠ من شهر محرم . . . الخ» والذى يوافق يوم ٢٦ پريريال أو ١٤ يونيو .

ملاحظة خطية:

انظر هذه المسودة التى أرسلت إلى السيد جومارد ، فقدت ولم تعد إلى السجلات المحفوظة ، ولكن من الممكن أن يجدها الإنسان مطبوعة . انظر الملاحظة المرفقة .

(الثانية)

١٤ يونيو ، ١٧٩٩ .

القاهرة (٨٠) بوناپارت

مسودة البلاغ الذى أصدره ديوان القاهرة ، مكتوبة بخط يد بوناپارت ، فى يوم دخول الجيش إلى القاهرة (٢٦ پريريال) .
مسحوبة من مجموعة السيد چوبارد .
أعمال نابوليون الكاملة (ستوجارد) .

T . 3 . P 166 . P . OFF . T . I , P . 256

(الثالثة)

لم يقيم الجنرال بوناپارت فقط بإملاء الرسائل والبلاغات التى كان يقوم هو بتوقيعها ، بل كان أحيانا يملأ رسائل وبلاغات يوقعها الآخرون .
عند عودته من الحملة السورية ، التى لم تكن نتائجها مرضية تماما ، أراد بوناپارت ، رغم ذلك ، من ديوان القاهرة أن يثير فى جماهير الأقاليم المصرية نفس السعادة التى شعر هو بها عند عودته إلى مصر .
لذلك كتب بنفسه إلى سكان القاهرة مسودة بلاغ المرفقة ، وهى النسخة التى طورت إلى نص النسخة الأصلية المفقودة .

طلب من الجنرال أويك أن يقرأ الملاحظة المطبوعة على الهامش : توجد فقرات لا يستطيع أحد أن يقرأها ، ولكن إذا قام السيد فوسجيلين نيابة عنكم بمقابلة السيد چومارد الذى يقيم فى باريس حتى الآن ، ربما يستطيعان حل رموز الفقرات المفقودة أو استكمال هذه الوثيقة المهمة .

فعلا كما شاهدنا إنشاء التحالف بين إسلام متخلف وبين فرنسا متحررة ، معنويا منذ البداية ، وكان يمكن توقيعه رسميا . . . عقبة واحدة بين عقبات

أخرى، أثبتت عدم إمكان تجاوزها؛ معارضته تركيا المتهورة التعيسة، التي ازدرت نواب المستقبل.

وهكذا فشل « أعظم مشروع كان يمكن للإنسانية أن تنجزه ».

الوثيقة (٢٧)

رقم ٤٠٣٦٤ - إلى الوزير العظيم

مقر القائد، القاهرة، ١٧/٨/١٧٩٩

إلى وزير تركيا العظيم الكبير بين كبار المتنورين وموضع ثقة أعظم السلاطين .
يشرفني أن أكتب إلى سعادتكم من خلال الأفندي الذي أخذ أسيرا في «أبوقير»
والذي أعيده إليكم ليحيطكم علما بحقيقة الوضع في مصر، ويدخل في مفاوضات
بين الباب العالي وبين جمهورية فرنسا، لوضع نهاية للحرب المستمرة بيننا والتي
تسبب إلى كل من دولتنا.

الباب العالي وفرنسا كانا صديقين لزمان طويل صداقة تقليدية، صديقين خلال
ترامي حدوديهما، ومن خلال شراكتيهما لعدو مشترك في روسيا وفي إمبراطور
ألمانيا. أي سوء حظ مميت هذا الذي جعلهما، رغم ذلك، تحاربان بعضهما؟
كيف يمكن لسعادتكم ألا تشعر بأنه لا يوجد رجل فرنسي مات دون أن يكون
سنداً للباب العالي؟

كيف يمكن لسعادتكم، وأنتم المستنيرون العارفون بسياسات ومصالح مختلف
الدول، ألا تدركوا أن روسيا وإمبراطور ألمانيا اتفقا في مناسبات عديدة على تقسيم
تركيا، وأن تدخل فرنسا، هو فقط الذي منع حدوث ذلك؟

سعادتكم بالتأكيد تعرفون أن العدو الحقيقي للدين الإسلامي هو روسيا.
الإمبراطور پول الأول أعلن نفسه السيد الأعلى على مالطة، أي أنه عقد العزم على
محاربة المسلمين.

ألم يكن هو رأس الدين الإغريقى الذى احتضن أكبر عدد من أعداء الدين الإسلامى ؟ .

زود وزيرك فى باريس بسلطات مطلقة، أو أرسل رجلا آخر إلى مصر مزوداً بسلطات مطلقة ومعرفة تامة بأهدافكم . كل شىء يمكن تنظيمه خلال ساعتين من المشاورات . إنها الفرصة الوحيدة لإحياء إمبراطورية المسلمين ، وإعطائها القوة ضد أعدائها الحقيقيين ، وإحباط خططهم الغادرة التى لسوء الحظ ، نجحت فعلا بالنسبة لهم .

إدارة الحرب (٨١) بوناپارت

هذه الرسالة كانت مؤرخة ١٧ / ٨ / ١٧٩٩ ؛ بعد خمسة أيام لاحقة ، يوم ٢٢ أغسطس ، قام بوناپارت بتعيين الجنرال كليبر قائدا عاما للجيش (٨٢) . أكد لديوان القاهرة أنه سوف يعود سريعا (٨٣) .

أهملته تركيا ، وأحس هو باستحالة قبولها لاقتراحه ، ورأى من الناحية الأخرى أن الإدارة التنفيذية تحتفظ برسائل مهمة ، علاوة على ذلك انزعج بهزائم چوردا فى ألمانيا وشيرار فى إيطاليا ، لذلك قرر بوناپارت أن يغادر مصر (٨٤) .

٥- الخلاصة - (نتائج نظرية) .

(عروض ضمنية - عرض واضح لإحياء الإسلام) .

تاريخيا ، تقارب الشرق والغرب ، بأسلوب حاسم غير متوقع ، شكراً للحملة الفرنسية .

معنوياً ، أولئك الذين ، على الأقل ، نسوا - المسلمين - بدأوا يرون ، بالنسبة لقضيتهم ، أرضية لتقدم لانهاى تجاه فكرة الحضارة العلمية .

نظريا ، يبدو أن هذا كان - على الأقل - من متابعة النصوص السابقة - رأى بوناپارت عن الدين الإسلامى مع بعض التحفظ ، سوف نوجز إطار الاقتراحات كما يلى :

١- أقل قدر مما وراء الطبيعة، مع أعلى قدر من البعد الاجتماعي.

المفهوم الجمهوري عن «الموجود الأعلى» يكفي . ولكن العبادة يجب أن تنظم طبقا لطبائع الشعوب المختلفة ، وهو ما يبيحه - بكل سعة - الدين الإسلامي .

٢- الضغط السياسي على القادة الدينيين.

بقدر ما رفضه بحسم^(٨٦) دين يواجهه رجل الدولة بقوة مساوية ، إن لم تكن أعلى من قوته - وبهذا لا يمكن احتواؤها - بقدر ما كان بوناپارت مشدودا غريزيا إلى دين من قادة اجتماعيين تحكمهم عقولهم . هكذا رأى بوناپارت أن في الدين الإسلامي صلاحا للناس ، ومبادئ تسمح بإجراء إحياء منظم للشرق ، وأيضا لتنظيم حكومة عالمية^(٨٧) . بالنسبة له الدين الإسلامي كان هو الحق المطلق : كان حقا يُمارس ، لكن أى نوع آخر يمكن أن يوجد ؟

٣- استمرارية الدين.

«إذا كان هناك دين وجد منذ بدء العالم» ، قال نابوليون فى أحد الأيام ، «أنا أعتقد أنه هو الدين الحق»^(٨٨) . بوناپارت كان يعرف أن محمدا نسب نفسه إلى جميع الأنبياء السابقين ، حتى أولئك الذين خفيت الآن أسماؤهم على الناس . هو قرأ ذلك فى القرآن^(٨٩) ، وهذا المفهوم كيف نفسه تماما مع آرائه - هو - التى تميل دائما نحو العولمة . بوناپارت نسى الفيدا والديانات الهندية . . .^(٩٠) .

٤- احتمال الإحياء العلمى للدين الإسلامى.

- دائم الاستشهاد بالماضى ، كان بوناپارت يدور حول أعظم الأمجاد - كان يعرف أن القرآن - أساسا - ليس فقط أكثر تحررا من العقيدة الكاثوليكية ،^(٩١) بل أيضا إن التاريخ سجل إسلاما علميا لا يقارن ، يمكن إحياءه ، ومتوقعا ومقدرا . بالنسبة لهذه النقطة الأخيرة ، خاصة ، كان شيوخ المصريين شديدى الحرص على ألا يهملوا التوجيه الدينى لإنسان مثل بوناپارت .^(٩٢)

٥. مستقبل فكرة العدالة.

أخيرا، بوناپارت أدرك، أفضل من أى إنسان آخر، الاتجاه الذى يسير العالم إليه؛ شعر نظريا أن وجود قوة روحية، وبقاءها دائما، هو أمر ضرورى للإنسان، وأن المصلحة الاجتماعية تتطلب ذلك، وأنه بتعبيرات عملية - سواء أحبها المرء أو كرهها - بالتفوق المنطقى لروح العدالة^(٩٣) التى تخلق النظام على فكرة التصديق الحر التى تعدم النظام ، وبالرغم من جميع الظواهر، فإن الهلال سوف يخلف الصليب.

لذلك هو كان يريد من أجل أمجاد ومكاسب متبادلة لفرنسا، ولدين مثالى ولنفسه، أن يقود قطارا يتوقع له النجاح.

لأنه تعود أن يرى نتائج جهود الحياة ومحنها فى حكم الأجيال اللاحقة، ترك بوناپارت مصر وهو يشعر بأسف شديد^(٩٤)، ألم يكن من الممكن القول بثقة أن جميع هذه الأفكار كانت تختمر بداخله، وأنه كان يريد أن يقوم الإسلام - رغم كل شىء - بإنجازها من أحد أطراف العالم إلى الطرف الآخر.

هذه فى رأينا هى النظرية الضمنية البالغة الوضوح فى عدة نقاط للقائد العام، الصغير السن، لجمهورية فرنسا أثناء فترة الحملة المصرية.

بالنسبة للحكم الذى كونه بوناپارت عن شخصية الرسول محمد ﷺ، لا يوجد أى احتمال لأى ريب حوله. تماما كما أظهر بوضوح تعاطفا صادقا تجاه الشعب المصرى، ولم يخفه. هو أيضا لم يستطيع إلا أن يشعر بنوع من الولاء الرومانى للنبي محمد ﷺ، وللجنود الذين آمنوا به. أى رجل يعرف أفضل من الرسول محمد ﷺ، كيف يجمع بين قوتين مستقلتين عزيزتين على بوناپارت: الإقناع، والقوة^(٩٥).

من يعرف أفضل من الرسول محمد ﷺ كيف يبنى كيانا اجتماعيا صادقا؟ من أفضل من الرسول محمد ﷺ، كان محاربا، وغازيا، ومشروعا عظيما؟ من، مرة

تلو أخرى ، ركز أعمق اهتمام على الماضي السحيق و المستقبل البعيد؟ بالتأكيد ما أكثر أفعال ، وأقوال بوناپارت ، التي جعلتنا نعرف أنه يعتقد أن محمدا كان أكثر الأنبياء قدسية . فى الفكر العربى هو كان أكثر الأنبياء فاعلية ؛ لأنه كان أقدمهم ؛ بالنسبة لبوناپارت ، هو كان أقدمهم ؛ لأنه كان أكثرهم تأثيرا منطقيا .

فى رأينا ، أن بوناپارت بذلك عبر منطقيا عن إعجابه بشخصية الرسول محمد ﷺ .

تعاطفه مع المسلمين كان صادقا ، جاء من العقل ومن القلب معا ، وهو أراد أن يؤكد ذلك لهم . انجذابه نحو الإسلام نفسه مستمد من الغريزة ، طوره التفكير والتأمل ، أية وطنية وطموح - أكثر روعة من أى شىء آخر - من هذين اللذين نقلهما التاريخ إلينا .

مع ذلك دعنا نتحدث بصراحة كل هذا الذى نحاول تحليله ، برز إلى بوناپارت فى تكوين واسع دقيق لا يتجزأ . (٩٦)

على أية حال ، وأيا كانت الانطباعات لدى الإنسان عن موقف بوناپارت تجاه الإسلام ، هذه المعضلة ظلت باقية : هل كان الدافع لدى بوناپارت هو ولاؤه كرجل سياسة (٩٧) وتصرف طبقا لذلك ؟ أو كان سياسة بحثة ، أجازتها الإدارة عندما لُقنت وتصرف هو تبعا لذلك .

على كل حال ، كلمة الدولة كانت ملزمة . لم تكن مسئولية بوناپارت - على الأقل فى لحظة محددة - (٩٨) أن يقوم بإنجاز تحالف قوى وإيجابى بين فرنسا والإسلام .

ومع أنه لم يبرم تحالفاً فورياً ، فقد دعا إلى إقامة هذا التحالف فى المستقبل ، وسلم للسياسيين والوطنيين المخلصين العقلاء اقتراحاً موجزاً ولكنه واضح - لإحياء الإسلام (٩٩) .

٦. اقتراح واضح لإحياء الإسلام بالعلوم.

الوثيقة التالية، التى أشرنا إليها فى مناسبات كثيرة، تحوى فى الحقيقة مشروعاً كاملاً لإصلاح الإسلام، وهذا العنوان يلزمنا جزئياً أن نتناولها بالكامل.

نحن لا نملك المؤهلات اللازمة لمناقشتها، ولكننا نصر على حقيقة أن بونابارت أعد مسودة هذه الوثيقة فى الوقت الذى بدأ فيه يفقد الأمل فى الوصول إلى اتفاق مع تركيا، على أرضية إسلامية بحتة.

التفكير الظاهر هو: مركز علمى يعرض فيه حقيقة الإسلام؛ ومركز آخر دينى يحافظ على منزلته - مكانه التقليدى مكة - التى تتواصل باستمرار مع الماضى، وتشر بين الحجاج الذين يأتون من جميع بقاع الأرض، الحقائق السرمدية التى وصلت إليها. بهذا الأسلوب - وبفضل توحيد القوى - تتكون من وحدة فعالة للمؤمنين تتطابق مع وصايا القرآن (١٠٠).

الوثيقة (٢٨)

رقم ٤,٢٣٨ - أمر

مقر القائد - القاهرة، ١٧٩٩/٦/٣٠

حكام جميع الأقاليم يجب أن يخبروا الدواوين المختلفة أن مجلس العلماء عين الشيخ العريشى قاضياً. القائد العام يريد أن يقوم كبير القضاة، كما هى العادة، بالتصديق على مناصب جميع القضاة؛ لذلك يجب على جميع قضاة الأقاليم أن يتوجهوا إلى القاهرة للحصول على تصديق كبير القضاة.

حكام الأقاليم فى جميع الأحوال يجب أن يحيطوا قادة الدولة علماً أن الوقت قد حان أخيراً لى تتوقف الحكومة العثمانية، التى كانت أكثر طغياناً عليهم من حكومة المماليك نفسها، وأنه يتعارض مع روح القرآن أن يأتى العثمانيون من القسطنطينية لإدارة العدالة لقوم لا يفهمون لغتهم، لقد مرت ثلاثة أو أربعة قرون بعد وفاة الرسول ﷺ محمد قبل أن تدخل القسطنطينية إلى دين الإسلام؛ وأنه إذا

عاد الرسول محمد ﷺ إلى الأرض فلن تكون القسطنطينية مقرا لإقامته ، بل ستكون مدينة القاهرة المقدسة على ضفاف نهر النيل ؛ وأن رئيس دين الإسلام هو صديقنا شريف مكة ، تماما كما أن المعرفة الصادقة بالدين توجد في مجلس العلماء بالقاهرة ، الأكثر معرفة بالدين في جميع أنحاء إمبراطورية الإسلام دون منازع ؛ وأن القائد العام يريد أن يكون جميع القضاة من المواطنين المصريين ، باستثناء من جاءوا من مكة والمدينة .

إدارة الحرب (١٠١) بوناپارت

مذكرة عن الإدارة المحلية.

بوناپارت خسر مؤقتا المعركة القائمة ، ليست ضد الإسلام ، بل لصالحه . بقى عليه أن يستعد للمستقبل ، وفوق كل شيء ، أن ينير العقول الأوروبية بعرض شديد الوضوح للحقائق . كان هذا هو هدف التعليمات التالية التي أصدرها وهو يسلم القيادة العامة للجنرال كليبر (١٧٩٩ / ٨ / ٢٢) ؛ هذه التعليمات تحمل عبارة : مقر القائد ، الإسكندرية ، فروكتيدور (١٠٢) مع ذلك يجب تفسير هذه العبارة : أنها تعنى بالقرب من الإسكندرية ؛ لأن جميع المعلومات التي تتعلق بالموضوع تتفق على أن بوناپارت لم يرغب في الدخول إلى المدينة (١٠٣) .

الوثيقة (٢٩) (١٠٤)

مذكرة عن الإدارة المحلية

العربي هو عدو الأتراك والمماليك . المماليك حكموه بالقوة ، وقوتهم كانت بالكامل حربية . اللغة التركية هي لغة أجنبية لمواطني الدولة ، تماما مثل اللغة الفرنسية . العرب يعتقدون أنهم أعلى منزلة من العثمانيين . العلماء وكبار الشيوخ هم قادة الأمة العربية ، يتمتعون بثقة وإعجاب جميع سكان مصر . هذا هو ما جعل الأتراك والمماليك يغارون منهم في جميع الأوقات ، ويعدونهم عن إدارة الشؤون العامة . أنا لم أشعر أبدا بأي رغبة لمحاكاة تلك السياسة . من المستحيل علينا أن

نتطلع إلى نفوذ مباشر على جماهير نحن بالنسبة لهم أجنب ، لكى نقودهم ، نحن نحتاج إلى وسطاء ؛ يجب أن نعطيهم قادة ، وإن لم نفعل ، سوف يختارونهم قاداتهم . أنا فضلت العلماء وأساتذة القانون .

أولا - لأنهم القادة الطبيعيون .

ثانيا - لأنهم مفسرو القرآن ، ولأن أعظم العقبات التى واجهناها وسوف نواجهها ، تنبع من الأفكار الدينية .

ثالثا - لأن العلماء لديهم عادات حضارية ، ويحبون العدالة ، وهم أغنياء ، تحركهم مبادئ أخلاقية طيبة ، هم بدون نزاع أكثر الناس أمانة فى الدولة . هم لا يعرفون ركوب الخيل ، وليست لديهم تجارب فى المناورات الحربية ، وغير مؤهلين لقيادة حركة مسلحة . لقد أعجبتهم إدارتى ، استخدمتهم فى حديثى مع الشعب ، كونت دواوين العدالة ، هم كانوا القناة التى قمت من خلالها بحكم الدولة . لقد أضفت إلى ثرواتهم ، و أعطيتهم فى جميع المناسبات أعظم فروض الاحترام ، ومنحتهم أعلى الأوسمة الحربية ؛ بإرضاء كبريائهم ، وأرضيت كبرياء الشعب كله ، ولكن سوف يكون عبثا أن نعطيهم كل هذه الاهتمامات إذا لم يكونوا مشربين بأعمق احترام للدين الإسلامى . لقد أردت أن أجعلهم أكثر طاعة ، وأكثر احتراما للأشياء وللشخصيات التى تتعلق بالإسلام ، عما كانوا عليه فى الماضى .

«الباب العالى كان يحتكر تعيين جميع القضاة . لقد عانيت من مشاكل كثيرة لكى أقوم بتغيير هذه العادة ، وأعيد للعلماء هذا الاختصاص الذى فقدوه . من المهم الحفاظ على مافعلته» .

القاهرة هى المفتاح الثانى للكعبة المكرمة ؛ مكة هى مركز دين الرسول محمد ﷺ . سياسة سلاطين القسطنطينية كانت تهدف إلى تجريد شريف مكة من صلاحياته ، وأن تحدد أو تلغى علاقات العلماء مع مكة .

مصالحى ، بطبيعة الحال ، قادتنى إلى اتجاه عكسى ، قمت بإحياء العادات

القديمة، أكدت علاقات الصداقة مع شريف مكة، وفعلت كل شىء ممكن لمضاعفة وتعزيز العلاقات مع المدينة المقدسة.

يجب على الإنسان أن يولى أعظم اهتمام لإقناع المسلمين أنه يحب القرآن ويبجل الرسول محمداً ﷺ. كلمة زائفة، أو مناورة واحدة سيئة التخطيط، قد تدمر العمل الذى تم عبر سنوات عديدة. أنا لم أسمع أبداً للإدارة أن تقوم بعمل مباشر تجاه العاملين بالجوامع أو تجاه الشئون الدنيوية للجوامع، كنت أحيلها دائماً إلى العلماء وأترك لهم حرية معالجتها. فى أى موضوع مثير للنزاع، يجب على السلطة الفرنسية أن تقف دائماً إلى جانب الجوامع والمؤسسات الدينية. من الأفضل لنا أن نفقد بعض الحقوق، لكى نتجنب الإساءة إلى الإدارة تجاه هذه الأمور الحساسة. هذه الطريقة كانت أكثر فاعلية من أى شىء آخر، وهى التى أسهمت فى شعبية حكومتى. ضريبة الملايين الستة التى فرضتها على المدينة عند وصولى أثارت احتجاجات ضئيلة، وسددت بسهولة؛ لأننى قمت فقط باستخدام الشيوخ فى تقديرها وجمعها، ونظر السكان بارتياح لعدم وجود أى إهانات أو أعمال استبدادية مثل تلك التى أخزت إدارة الأتراك أو المماليك.

الأقباط يسيطرون على الأموال وعلى جمع الضرائب؛ من الضرورى الإبقاء عليهم فى موقعهم، والحرص على عدم تدخل الأتراك فى هذا المجال المهم من الإدارة، والذى يجب نقله فى الوقت المناسب إلى أياد أوروبية. المماليك ليس لهم وجود الآن كقوة، هم مفيدون كجهاز ميلشيا مساعد؛ إنهم ولدوا أعداء للعرب وللشيوخ، ويمكنهم أن يقدموا خدمات فى مناسبات كثيرة. يمكن للإنسان أن يكتسب مراد بك وإبراهيم بك بإعطائهما لقب أمير، وأن يكتسب البكوات الآخرين بإعطائهم رتبة جنرال، وإعادة ممتلكاتهم إليهم. من الضرورى مع ذلك الحرص على ألا يمتلك البكوات مجتمعين أكثر من ٩٠٠ أو ١٠٠٠ فارس. سوف نستخدمهم لاحتواء عرب الصحراء جميعاً بستة أفواج من الهجانة، نشكلها لهذا الغرض. سوف نستولى على جميع الآبار فى الصحارى الست، لكى نستطيع ممارسة السيطرة المباشرة على جميع هذه القبائل البدوية.

من الضروري ألا نغفل عن حقيقة أن الإسكندرية يجب أن تكون يوما ما هي عاصمة الدولة. يجب علينا - لذلك - أن ندعم فرع النيل على جانب رشيد بدلا من فرع دمياط، وأن نجعل حجما كبيرا من الماء يتدفق في إقليم البحيرة، حتى إن سبب ذلك ضررا للشرقية؛ وأن نعيد بناء القناة من الرحمانية إلى الإسكندرية؛ وأخيرا نعزز ميناء الإسكندرية ونجعله المخرج الوحيد للتجارة مع أوروبا، وأن نعيد جميع المواصلات السابقة بين شمال مصر، والفيوم والبحيرة. الحصون الدائمة، والمحلات التجارية، والمستشفيات، والترسانات، ومطاحن الهواء، والمصانع يجب تفضيل بنائها في الإسكندرية، حيث يجب استخدام جميع وسائل الإغراء لنجذب إليها أعدادا كبيرة من اليونانيين، واليهود والمسيحيين من سوريا.

يجب علينا أن ندعم السويس، على حساب القصير، ونجعلها مستودعا رئيسيا لواردات البن والتوابل، ولتصدير سلع أوروبا ومصر السفلى. تجارة القصير يجب أن تقتصر على السلع من مصر العليا.

الدولة يجب أن تتعود تدريجيا على فكرة التجنيد الإجباري للجيش والأسطول. ماله أهمية خاصة هو أن نجتمع كل سنة بضعة آلاف من السود، من سنار ودارفور، ونضمهم إلى القوات الفرنسية بنسبة ٢٠ رجلا لكل فوج. بسبب تعودهم على الصحراء، وحرارة خط الاستواء، سوف يصبحون، بعد ثلاثة أو أربعة أعوام من التدريب والتجارب، جنودا صالحين ومخلصين.

يجب علينا أن نتكيف مع أساليب الشرق^(١٠٥)، نترك القبعة والبنطلونات الضيقة، ونعطي ملابس قواتنا شيئا من النمط الشرقي. بمثل هذه الملابس سوف تبدو قواتنا للسكان وكأنها جيش وطني، ونحافظ بهذا على عادات الدولة^(١٠٦).

* * *

هوامش الجزء الأول

١ - جزء من هذا العمل ظهر في المجلة الاجتماعية الدولية (إنترناشيونال سوسيولوجيكال ريفيو) أكتوبر ١٩١٢ .

٢ - انظر أواخر الملحق رقم (١) .

٣ - بيليت دي لا لوزير .

٤ - حدد بوناپارت هدفه منذ البداية ؛ كان هذا بغرابة شديدة تأكيد المطرد لسياسته الإسلامية .

٥ - بالنسبة لتاريخ الرسول محمد ﷺ وتاريخ العرب ، لم يقم نابوليون فقط بدراستها دراسة دقيقة ، بل إن كتاباته وهو شاب ، شملت موجزا مثيرا عن تاريخ العرب الذي كتبه الأب ماريجنى . انظر ماسون : نابوليون كتابات لم تنشر ، ١٩٠٨ ، من صفحة ٣١٩ الخ .

٦ - رسائل نابوليون الأول ، التي نشرت بأمر من نابوليون الثالث ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٧-٢٨ ، رقم ٢٤٥٨ ر ، ٢٨ مارس ، ١٧٩٨ .

٧ - ملحق للبيان رقم ٢٧٠٨ - هذا البلاغ ، الذي كتب على ظهر السفينة أورينت يوم ٢٢ يونيو ، لم يصدر كأمر عسكري إلا في يوم ٢٨ يونيو ، ليلة يوم الهبوط إلى أرض الإسكندرية .

٨ - من بين رجال السياسة الإنجليز ، فوكس فقط هو الذى عبر عن إعجابه الشديد بنابوليون . مع مثل هذا الشعب ، نحن نقرأ فى مذكرات القديسة هيلين ، سوف يكون لدى إدراك دائم أنه كان يجب علينا أن نصل سريعا إلى اتفاق . لم يكن علينا فقط أن نحقق السلام مع أمة تستحق كل الإعجاب ، بل كان علينا أيضا أن نعمل معا عملا صالحا . فى الوقت الحاضر ، لن يكلفنا شيئا أن ندرك أن إنجلترا أصبحت أمة شقيقة

لفرنسا، تقوم بسياسة إسلامية بالغة الحكمة . تلك سياسة يمكن اعتبارها مثالية .

٩ - انظر الجزء الرابع، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

حتى إذا كان النص الفرنسي للوثيقة التالية قد ترك أى فراغ لأقل تردد بالنسبة للبلاغ الرسمى الذى أصدره القائد العام، فإن النص العربى، الذى كتب بناء على أوامره، سوف يزيل أى شك . تقرر فيه - بالتأكيد - مبدأ التحالف الفرنسى الإسلامى .

١٠ - بالنسبة للتغييرات المادية فى النص العربى للبلاغ، لدينا دليل على ذلك، ليس فقط فى مراسلات الجيش الفرنسى فى مصر - كما ترجمها أسطول نيلسون، والتي طبعت فى لندن عام ١٧٩٩ - بل أيضا، النص العربى نفسه . هذا النص بدلا من أن يشير إلى بوناپارت على أنه عضو المجمع القومى، بدأ هكذا [بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد] .

بالتيابة عن الجمهورية الفرنسية التى أسست على مبادئ الحرية، نعلن إلى جميع سكان مصر أن البكوات، منذ زمن طويل . . . الخ انظر نقولا الترك، «تاريخ الحملة الفرنسية إلى مصر» كما ترجمها ديسجرإنجيز الكبير، سكرتير التفسير للملك فى باريس والتي طبعت بإذن الملك فى المطابع الملكية عام ١٨٣٩ .

نحن مضطرون هنا أن نأخذ مراسلات بوناپارت كما طبعها ونشرها نابوليون الثالث، ولكن دعنا نأخذ فى اعتبارنا تشويه وطمس نصوص الوثائق . انظر بون ليسيتير: رسائل لم تنشر لنابوليون الأول باريس، ١٨٩٧، الجزء الأول، ملاحظة أولية .

١١ - البلاغ فى نصه العربى لم يذكر تعبير «المسلمين الحقيقيين» ولا حتى أصدقاء المسلمين الصادقين» بل إنه قال: أيها القضاة والشيوخ والأئمة وأشرف المدينة، قولوا لشعبكم: إن الفرنسيين هم أيضا مسلمون مخلصون .

يوجد هناك إقرار يشير إلى إسلامهم ودعوة إلى قلوب وعقول وإخلاص السكان، انظر نص نقولا الترك، وترجمة ديسجر إنجيز: الفرنسيون هم أيضا مسلمون حقيقيون، ولكن مسلمون صادقون، ترجمة أفضل .

١٢ - من المعروف كيف سارت هذه الأحداث: مؤسسو الجمهورية الجديدة أسرعوا بإرسال ثمانية منهم إلى الجنرال الفرنسى بيرثير يخبرونه أن روما قد حررت نفسها، وهى تحتاج إلى حضوره فقط لكى تصدق رسميا على حريتها، بيرثير الذى كان يتوقع هذا التطور، قرر لذلك أن يدخل رسميا إلى هذه المدينة التى كانت مقرا للقيصرة وورثة القديس (بطرس) . سار بصحبة عدد من قادة الأركان ومجموعات

من قوات الفرسان والرماة . بعد أن سار عبر المدينة وسط حشد كبير من الجماهير ، شدهم هذا المشهد المتفرد أكثر من حبهم للحرية . صعد الجنرال الفرنسى إلى الكايتول (هيكل روما القديم) وباسم شعب فرنسا ، أقدم التحية للجمهورية الرومانية الجديدة ، أعلن أن هذه الجمهورية التى تعترف فرنسا بحريتها واستقلالها سوف تشمل جميع الأراضى التى منحت إلى البابا بموجب معاهدة توليتينو . ثم دار حول ساحة الكايتول وسط هتافات مدوية «تعيش الحرية تعيش الجمهورية الفرنسية والجمهورية الرومانية ، والجنرالان بوناپارت وبيرثير والجيش الفرنسى الذى لا يقهر»

فى اليوم التالى ، قامت جميع كنائس روما بتقديم الشكر للموجود الأعلى ، الأربعة عشر كاردينالاً الذين وقعوا على مرسوم الحرية والتنازل الرسمى عن جميع حقوقهم السياسية ، رتلوا الأناشيد فى كنيسة القديس بيتر . هؤلاء الكرادلة لم يشاركوا فى عدوان يوم ٢٨ ديسمبر ، ورغبتهم فى إنهاء أيام وجودهم فى روما ، جعلتهم يتخذون قراراً يدل على الأنانية أكثر مما يدل على الشجاعة .

بينما قام الشعب الذى سحره هذا التجديد بدق نواقيس القلعة إعلاناً بشكرهم للفرنسيين . بقى البابا بيوس السادس معزولاً فى قصره ، هجره معظم رجال الكنيسة البارزين ونبلاء روما ، وظل يجهل ما يحدث من حركة العصيان المسلح رغم أنه كان يعرف خطواتها الأولى ، الجنرال الفرنسى سيرفونى ذهب إلى قداسته وحذره من أن الشعب ألغى الحكومة البابوية ومارس استقلاله . هذا الرجل المسن الجليل ، رفع بصره إلى السماء وقدم ما كان بالنسبة له تضحية متواضعة لسيد كل شئ وتلقى أخبار سقوطه المؤقت بهدوء وتماسك روحى أكثر مما يتوقعه أى إنسان من رجل مسن يعانى من أمراض عديدة ، مستسلماً للوسائل الغامضة للقدرة الإلهية . طلب من الجنرال بيرثير وحصل على إذن منه أن يتقاعد فى توسكانى . فى يوم ٢٠ فبراير قام بيوس السادس بترك المقر الذى قام منه أسلافه بقوتهم الروحية بهز عروش أكثر ملوك أوروبا قوة . لجأ إلى صومعة مظلمة بملجأ بيز (انتصارات غزوات كوارث نكسات وحروب بين الفرنسيين من عام ١٧٩٢ إلى عام ١٨١٥ ، المجتمع الحربى باريس ١٨١٨ الجزء الثامن ص ٢١٨-١٢٢) .

١٣ - انظر الجزء الرابع ص ٢١٥ وما بعدها .

١٤ - هذه الرسالة تستحق اهتماماً خاصاً لطبيعتها الرسمية بسبب توجيهها وسريتها بسبب من أرسلت إليه .

١٥- الجزء الرابع ص ٤٢٠ .

١٦- الجزء الرابع ص ٢١٥ وما بعدها .

١٧- بعيدا عن صراع أعمال القائد العام مع آرائه الفلسفية المعروفة ، هى لا تفعل أكثر من تفعيل ممارستها ، هذه الوثيقة مرسلة إلى كليبر (وثيقة قد تبدو أنها سياسية بحثية) شملت رغم ذلك تقديرا فريدا لتطور الأزمنة وللتعديلات التى يتطلبها هذا التطور ، لا شىء يمكن أن يكون أكثر صراحة ووضوحا (وولاء بالنسبة للإسلام بقدر ما هو لفرنسا نفسها) عن هذه الرسالة إلى كليبر .

١٨- تواريخ من تقويم الثورة .

١٩- الجزء الرابع ص ٢٧٦- ٢٧٧ .

٢٠- عندما قام سافاس باشا أثناء دراسته لنظرية الشريعة الإسلامية ، باستخدام تعبير : أسلمة الحقائق ، فعل هذا لكى يجعلنا نفهم ما يعنيه .

انظر الجزء الرابع .

٢١- سوف نقوم بعد وقت قليل بتطوير هذه النظرية باعتبار أنها قديمة ، كما أنها تقليدية ، وباعتبار أنها تقليدية كما أسىء بناؤها فى الملاحظة .

٢٢- انظر رقم ٢٨٥٠ مقر- القائد- القاهرة ٢٧/ ٧/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٢٦١

٢٣- الجنرال زاجونشيك يحكم إقليم منوف .

٢٤- دراسة الناس الذين تعيش بينهم واختيار من هم أكثر صلاحية للقيام بالعمل ، بعض الأوقات اضرب لهم أمثالا عادلة وصارمة ولكن لا تفعل أبدا أى شىء يقترب إلى النزوة أو الطيش .

انظر رقم ٣٠٣٠ ، ١٦/ ٨/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٤٨ .

٢٥- انظر رقم ٣٠٨٤ ، الجزء الرابع ص ٣٨٦- ٣٨٧ ، ٢٢/ ٨/ ١٧٩٨ .

٢٦- القاهرة ٢٣/ ٨/ ١٧٩٨ عن المعهد المصرى ، قارن الشيخ عبد الرحمن الجبرتي «تاريخ عجائب الآثار» ، القاهرة ١٨٩١ ، الجزء السادس ص ٧٢ ومايليه .

٢٧- الجزء الرابع ص ٣٩٠- ٣٩١ .

٢٨- انظر رقم ٤١٠٣ ، الجزء الخامس ص ٤٠٦ .

- ٢٩- رقم ٣١٤٧ ر : إلى الجنرال مارمونت .
- ٣٠- انظر أدناه .
- ٣١- الجزء الخامس ص ٥١٨ .
- ٣٢- الجزء الخامس ص ٤٠٦ .
- ٣٣- انظر رقم ١١ . ٤ مقر القيادة - جبل كارميل ١٨ / ٣ / ١٧٩٩ الجزء الخامس ص ٣٦٣ - ٦٦٣ .
- ٣٤- الجزء الرابع ص ٤١٣ .
- ٣٥- إلى شريف مكة رئيس الدين ، نصوص أوراق عديدة تتعلق بأنشطة ناپوليون الحربية والسياسية ، ديدوت ١٨٠٠ ص ٣٣٣ . المرجع الثاني ص ٣٠ (ملاحظة) فكر ناپوليون في الحقيقة لا ينازع .
- ٣٦- الجزء الخامس ص ٤٩٠ رقم ٣٩٠١ ر .
- ٣٧- المرجع السابق .
- ٣٨- المرجع اللاحق .
- ٣٩- تواريخ من التقويم الثورى .
- ٤٠- لقد كان بمساعدة شريف مكة ، أن استطاع بوناپارت أن يؤمن الطريق إلى الهند .
- ٤١- انظر الجزء الخامس ص ٤٨١ - ٤٨٦ وكذلك ص ٤٩١ من رقم ٢٣٧ ر .
- ٤٢- أ- الحج يحقق تواصل كثير من الشعوب المختلفة ويؤكد بذلك تماسك الإنسانية بقدر كبير .
- ب- إنه يكرس المساواة بين المسلمين بطريقة عملية ، هذه المساواة مطلقة ، جميع الحجاج يرتبطون بنفس الالتزامات ، السادة والخدم يتساوون حقاً ، الإسلام برهن أنه أعظم وسيلة لمساواة الناس التى ذكرها كارلايل (كاتب فيلسوف إنجليزى) .
- ج- تنوع العادات والأجناس واللغات تختفى داخل الانضباط الأخلاقي رغم وجود بعض المجرمين بين الحجاج لا ترتكب أى جريمة .
- د- حرمان الحج هى نفسها انضباط .

هـ - مدته توطد التواصل بين مختلف الشعوب ، ونتيجة لذلك هو يساعد بطريق غير مباشر على توسيع العمل السياسى .

و- القصص التى يرويها الحجاج سوف تتزايد نتيجة لتجاربيهم الذاتية .

ز- بدون أداء هذه الممارسة الدينية ، أعداد ضخمة من الناس ستظل تجهل أعظم الاكتشافات العلمية الحديثة وقد لا يسمعون شيئا عنها ، هذا بالتأكيد عامل بدائى للدعاية العلمية ولكنه لا يقدر ، انظر العدد الذى صدر فى يونيو عام ١٩١٢ فى مجلة العالم الإسلامى : « رواية عن الحج إلى مكة عام ١٩١٠ - ١٩١١ » كتبها قاسم زاده . انظر كذلك رسالة نابوليون رقم ٤٢٣٨ : رأس الدين الإسلامى هو صديقنا شريف مكة ، الجزء الخامس ص ٤٩٢ مقر القائد القاهرة ٣٠ / ٦ / ١٧٩٩ انظر الملحق رقم (١) .

٤٣ - الجزء الخامس ص ٥٦١ - انظر رقم ٤٣٥٩ إلى بيك طرابلس ١٥ / ٨ / ١٧٩٩ أيضا رقم ٤٢٣٥ ، إلى سلطان دارفور ٣٠ / ٦ / ١٧٩٩ .

٤٤ - انظر أعلاه .

٤٥ - يونانپارت قبل التعصب فقط فى الحرب ، ولذلك قد لا يشعر ببسالة المسلمين فى الحرب .

٤٦ - يونانپارت يصنف التعصب بدقة تامة انظر أعلاه .

٤٧ - هذه هى الإشارة السياسية ، الباقي تعليمات حرفية خاصة لكبير .

٤٨ - الجزء الخامس ص ٥٧٢ - ٥٧٥ .

٤٩ - انظر أعلاه .

٥٠ - انظر مثلاً رقم ٣٠٧٤ : إلى البريجادير جنرال ثيال ، حاكم إقليم دمياط ٢٢ / ٨ / ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٧٨ .

٥١ - انظر رقم ٤٣٦٤ . لا يستطيع المرء أن يصبر - بما يكفى - على مثل هذه البلاغات ، التى كانت رزينة كما كانت محددة وصارمة .

٥٢ - الجزء الخامس ص ٥٢٣ - ٥٢٦ هذه عبارة مروعة «المسلم الذى يصعد إلى سفينة ترفع علم الصليب ، والذى يستمع كل يوم إلى عبارات التجديف ضد الله الواحد الأحد ، هو

أقبح من الكافر نفسه» نفس المرجع . هذا البغض لعقيدة لا عقلانية استخدمه بوناپارت ولكنها كانت هى نفس عقيدته ، هو فقط بالغ فى التعبير عنه .

٥٣- بوناپارت عرض عقيدة الثالوث المقدس بأسلوبه هو ، ورفض المراوغات اللاهوتية .

٥٤- الجزء الرابع ص ٢٤١ رقم ٢٨١٨ ، بلاغ إلى سكان القاهرة ، مقر القيادة الجيزة ٢٢ / ٧ / ١٧٩٨ .

٥٥- الجزء الخامس ص ٥٦٢- ٥٦٣ .

٥٦- هذا الملخص (وقعه القائد العام كما وقع السابق له) لم يكن أقل صراحة ولكنه مهم بالنسبة لمجاله الرسمى ويبدو أنه أكثر إثارة .

٥٧- الجزء الخامس ص ٥٦٢- ٥٦٣ .

٥٨- «أنا أشكركم لمظاهر التكریم التى قدمتموها للنبي محمد ﷺ» رقم ٣١١٥ مقر القائد القاهرة ٢٦ / ١٧٩٨ . انظر الجزء الرابع ص ٣٥٦ رقم ١٣ . ٣ . إلى قنصل فرنسا فى طرابلس ، ١٨ / ٨ / ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٦٣ رقم ٣٠١٠ . إلى الجنرال فيال حاكم إقليم دمياط : أنا أفترض أنك فعلت كل ما يلزم لإقامة احتفال مجيد يوم مولد النبي ﷺ الآتى بعد أربعة أو خمسة أيام . الاحتفال بوفاء النيل هنا كان بديعا ، والاحتفال بمولد النبي ﷺ سيكون أفضل . الجزء الرابع ص ٤٢١- ٤٢٢ رقم ٣٠١١ . إلى الجنرال مينو : لقد احتفلنا بمولد النبي ﷺ بتقديس وحماس مما جعلنى أستحق لقب ولى الله ٢٨ / ٨ / ١٧٩٨ . لم يستهزئ بالإسلام منذ الرسالة التى كتبت إلى مينو .

٥٩- انظر أعلاه رقم ٣٠٧٨ . إلى أحمد باشا حاكم صولد وعكا (سيدون والقدیس چین - عكا) ٢٢ / ٨ / ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٨٠ .

٦٠- رقم ٧٧ . ٣ إلى المواطن بوفوازينز .

٦١- الهلال رمز التقدم ، فى مقابل الصليب رمز الظلم ، إنصافا ، يجب أن تعترف من وجهة نظر فردية أن دين الصليب نفسه لديه أمثلة متكاثرة للبطولة وإنكار الذات .

٦٢- انظر مايلى الوثيقة الواحدة والعشرين ، هناك ما قد تكون أعظم الآمال التى أعطيت للإسلام .

٦٣- الجزء الرابع ص ٣٨٠- ٤

٦٤- انظر أى بيداريد «اليهود فى فرنسا وإيطاليا وإسبانيا» مايكيل ليفى ١٨٥٩ ص ٥٨١ وما يليها، وأيضاً جريدة رويديرار «استماع الأجهزة التشريعية ١١/٥ ١٨٠٠» .

٦٥- الجزء الرابع ص ٤٢٠ .

٦٦- الجزء الخامس ص ٢٢١-٢٢٢ .

٦٧- أرسل بعد ذلك كسفير لدى القسطنطينية .

٦٨- الجزء الرابع ص ٣٩ .

٦٩- تاريخ من التقويم الثورى .

٧٠- الجزء الرابع ص ٣٩ .

٧١- الجزء الخامس ص ٥٧٢-٥٧٥ .

٧٢- انظر الملاحظة الثانية على الصفحة التالية .

٧٣- وزارة الحرب : نظام إدارة الحرب رسائل نابوليون جيش الشرق ١٤ يونيو إلى ١٤ يوليو ١٧٩٩ ، صندوق ٢٢ .

٧٤- انظر جورجود «يوميات لم تنشر» الجزء الأول ص ٣٤٨ ، الشيوخ كانوا دائماً يقولون لى إننى إذا أردت أن أجعل نفسى شيخاً جليلاً، يجب على الجيش أن يصبح مسلماً، ويجب على أن أرتدى عباءة، هذا ما كنت أريده، ولكنى لم أقدم على اتخاذ هذه الخطوة إلا بعد أن أتأكد من النجاح، بدون ذلك سوف أصبح مثل مينو موضع سخريه .

٧٥- يوجد خط أفقى هنا .

٧٦- إنه تأكيد تام لأهم نصوص نيقولا ص ١٢٣-١٣٢ وأيضاً ١٤٤-١٤٦ انظر الوثيقة رقم (٣٩)، وكذلك جورجود يوميات لم تنشر الجزء الثانى ص ٢٧٥ .

٧٧- عن جومارد انظر مجلة ريشيو ديچييت السنة الرابعة، الجزء الرابع يناير-أبريل ١٨٩٧ .

٧٨- لقد كان بورنين ثم الجنرال بيرثيرر رئيس الأركان .

٧٩- دعنا نكرر وجوب الاهتمام بهذه الملاحظات الحيادية المختلفة، بسبب الاختفاء الأكيد للمسودة الأهلية .

٨٠- أزيلت .

٨١- الجزء الخامس، ص ٥٦٣ وما يليها .

٨٢- فى نفس الوقت صدرت إليه أوامر دقيقة من مقر القيادة بمنوف، عند سد ترعة الفرعونية وبعض القنوات الأخرى «التي يبدو أنها تنقل المياه من فرع دمياط إلى فرع رشيد» إدارة الحرب الجزء الخامس، ص ٥٧٠، ٥٧١، ١٩/٨/١٧٩٩ .

٨٣- عند عودتى بعد شهرين أو ثلاثة، أرجو أن أكون سعيدا بشعب مصر، وألا يكون لدى شيء أقدمه سوى الشكر والعرفان للشيخ، ٢٢/٨/١٧٩٩ رقم ٤٣٧٧ الجزء الخامس، ص ٥٧٦- ٥٧٧ .

٨٤- انظر الجزء الخامس ص ٥٧٨ رقم ٤٣٨٢ إلى الإدارة التنفيذية ١٠/١٠/١٧٩٩ .

٨٥- انظر رواية لوسيان بوناپارت فى «بوناپارت وأوقاته» للسيد لانجشاريتير ١٨٨٥ الطبعة الثالثة، الجزء الثالث، ص ٣٢٧-٣٢٨. انظر الملاحق .

٨٦- براهين: البند الأخير من الاتفاقية، والفقرات الأساسية أيضا، واحتفال التكريس نفسه . انظر ما يلى .

٨٧- رقم ٣٩٠١ إلى صاحب تيبو (انظر الملحق) .

٨٨- عميرة . انظر مذكرات نابوليون التي كتبها جورجود .

٨٩- لقد قرأه جيدا؛ لأنه استطاع أن يكتب «الباشا وجميع الأسرى الأتراك، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم وهم يرون قدر احترام الفرنسيين للدين الإسلامى ولشريعة أقدس الأنبياء» رقم ٤٣٦٢ الأمر رقم ٢٩، ١٦/٨/١٧٩٩، الجزء الخامس ص ٥٦٢- ٥٦٣ .

٩٠- أى دين غير دين الإسلام يمكنه أن يجبر البراهمانية على التراجع، وهى التى تهدد العقل الإنسانى بقسوة .

٩١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة (٥) - الآية ٦٩] بالنسبة للمسلمين جهنم ليست أبدية، جميع الفقهاء يقرون بزوالها بعد زمن لا يعرفه إلا الله يتوقف على كرمه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف (٧) آية ٣٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ (١٠٨) فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا
كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ﴿[سورة هود : الآيات
١٠٨ ، ١٠٩] .

٩٢ - إجحاف واسع الانتشار، رغم أنه يتعارض مع التاريخ، وهو أن الرسول محمدا
ﷺ كان عدوا للعلوم والفنون والآداب . انظر «مذكرات نابوليون» أعلاه،
والرسالة رقم ٢٣٨٤ .

٩٣ - مفهوم العدالة بعيدا عن تعارضه مع مفهوم الإحسان، هو وحده القادر على تزويد
الإحسان بأعلى قدر من التحقيق . انظر نيقولا ص ١٣٢ .

٩٤ - رقم ٣٧٤ر إلى الجنرال كليبر ٢٢ / ٨ / ١٧٩٩ .

٩٥ - انظر رقم ٣٦٧ر .

٩٦ - ما الذى حدث لنسخة قرآن بونابارت «ذات الحواشى» ؟

٩٧ - حول هذه النقطة، لدينا لتأكيدا إذا لزم الأمر كلمة كليبر انظر «مستخرج من الرسائل
المصرية» طبعة تكميلية فى اليوم السادس من السنة السابعة، قل لهم (الشعب) إن
حكومة جمهورية فرنسا عندما انتدبتنى لحكم مصر، كلفتنى بصفة خاصة أن أرى
سعادة الشعب المصرى، ومن بين جميع واجبات قيادتى كان هذا التكليف أقربها إلى
قلبى .

شعب مصر يبنون سعادتهم بصفة خاصة على أساس دينهم، واحترامه لذلك سوف
يكون أحد واجباتى الرئيسية، سوف أفعل أكثر من ذلك سوف أمجده، وسوف أسهم
قدر استطاعتى فى عظمته وتألّقه .

بعد أن تعهدت بهذا الالتزام، لن أخشى الأشرار، الشعب الطيب سوف يراقبهم
ويحيطنى علما بهم . بونابارت الحاكم السابق اكتسب حب العلماء والشيوخ وكبار
الشخصيات بعمله السليم والمستقيم .

أنا أيضا سوف أحافظ على هذا المستوى، وسوف أتبع خطواته، وسوف أكون جديرا
بما قدمته له . إجابة الجنرال كليبر على الشيخ الموهادى فى (مقتطفات رسمية
للجيش فى مصر) الجزء الثانى السنة التاسعة ص ٣ - ٤ .

٩٨ - لا يستطيع الإنسان أن يكرر كثيرا أن هذه الفرضية تعارضها مجموعة من البيانات
الموثوق بها، نابوليون كان بروحه مسلما تقريبا .

حتى ذكرى القديسة هيلين ، تستشهد بالإمبراطور الفيلسوف ، كنصير لتعدد الزوجات في المستعمرات الفرنسية .

٩٩ - الفكرة كانت عزيزة على بوناپارت وبعد أن أصبح إمبراطورا ، ناقشها مع العثمانيين .

رويدا رويدا ، فرض نابوليون نفسه كمستشار لسليم ، ولكن الأحداث سوف تبرر وسوف تتجاوز ، أسوأ المفاهيم .

انظر إ. د/ يالت «سياسة نابوليون في الشرق» مع اهتمام خاص بصفحات ٣٤١- ٣٤٢؛ كوار دي فيرنيل «نابوليون الأول وفارس» .

١٠٠ - دعنا نتذكر أفضليات بوناپارت الشخصية للقاهرة ومكة (انظر فيما يلي الملحق) رقم ٣٦٤ ر من المراسلات ، بوناپارت كان يرتبط بشدة مع فكرة تحالف فرنسي- إسلامي . كان أقل اهتماماً بفكرة مشاركة تركيا في هذا التحالف .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[الأنفال : ٧٣] .

عن حتمية ملاحقة العلوم ، انظر الأحكام السلطانية ، أ. لوروكس ١٩٠١- ١٩٠٦ الجزء الأول ص ٩٨ وما يليها .

١٠١ - الجزء الخامس ص ٤٩٢ . لم يعد في إدارة الحرب .

١٠٢ - تقويم الثورة .

١٠٣ - انظر سي . دي لاجونكير «الحملة المصرية» الجزء الخامس ص ٥٩٣ وكذلك «الانتصارات والغزوات» الجزء ١١ ص ٢١٩ .

١٠٤ - نابوليون «الحملات الإيطالية والمصرية والسورية» الجزء الثالث في طبعة الهاشيت ص ١٥٠ وما يليها .

١٠٥ - يوجز لايداري سياسة بوناپارت في الشرق .

١٠٦ - انظر فيما بعد نقولا الجزء الثالث ، ملاحظة رقم (٢) في الملاحظات الخاصة والملحق رقم (١) . عززت الظروف فكرة الإسلام في عقل بوناپارت ، بطريقة لا يمكن أن تكون موضوع تساؤل ، إن الانطباع ذهب إلى عمق كاف لايزول أبدا .